كتابة مهنة مقدسة

كتاب الشباب

الكتابة مهنة مقدسة

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(كتاب الشباب)

الكتابة مهنة مقدسة

نبيل فرج

الغلاف

الإشراف الفني:
للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

مقدمـــة

لا تزال الثقافة العربية بحاجـة شـديدة الى فتح نوافذها على الثقافات الأجنبيـة التى لم نعرفها ، أو لم نعرفها بالقدر الكافى ، والى العمل على ترجمة آداب هذه الثقافات عن لغاتها الأصلية ، وليس فقط عن الانجليزيـة أو الفرنسـية ، التى استأثرت بمعظم جهود النقل ، منذ النهضـة العربية الحديثة فى القرن التاسع عشر ، التى بدأت متأخرة نحو ثلاثة قرون عن النهضة الأوروبية •

وعلى الرغم من معارك التحرير التى خاضتها أقطارنا العربية ضد كل أشكال الاستعمار والتبعية ، فقد كان الوعى القومى يقظا بالقـدر الذى يفرق فيه بين مقاومـة الاستعمار والتبعية من جهة ، وبين تقدير تراثه الانسانى العظيم ، من جهة مقابلة •

وفيما عدا أصوات السلفيين الذين وضعوا التراث الأوروبى فى موضع النقيض مع التراث القومى ، ودعوا ، فى مراحل الانكسار خاصة ، الى ما يعرف بالاكتفاء الذاتى ، والانطواء على النفس احياء للماضى التليد ، فان تيار التجديد والتحديث والمعاصرة لم يحفل بهذه الأصوات (طالما انها لم تنفرد بالساحة) ، ولا بما تدعيه من دعوى الأصالة أو الخصوصية ٠

ذلك أن الأصالة او الخصوصية ليست سوى العناصر الكامنة فى بنيان المجتمع وانساقه الفكرية ، وهى ، ايضا ، الجزء الجديد الذى يمكن لأصحاب القامات العالية، الذين هضموا جيدا التراث الانسانى ، اضافته الى الانتاج المعاصر ، وهى ، فى النهاية ، اصالة وخصوصية التجربة الحية ، والنظرة الى الواقع ، والتناول الفنى ، والمعنى ، والرسالة ٠

لقد مضت الثقافة العربية تشق طريقها المتصل بالفكر العالمى فى تجلياته المختلفة ، تترجم عن الثقافات الأجنبية بتوجيه من الظروف التى تحكمها ، واللغة التى تتقنها ، وترى فى هذه الترجمة توطيدا للعلاقات بين الشعوب والأوطان ، وجسرا لتعميق التفاهم بينها ، وتبادل الخبرات ٠٠

لكن القضية أو الاشكالية التى واجهناها ان الترجمة انحصرت ، عبر تاريخها ، فى بضعة آداب ٠

وبذلك حجبت ثقافات كثيرة ، رسمية وشعبية ، تعد بالعشرات ، ان لم تكن بالمئات ، كان ينبغي ان تهتم بها الثقافة العربية ، وتقدم بعضها على ما قامت بترجمته بالفعل ، في زمن يتفتح فيه العالم بعضه على بعض بسرعة فائقة ، وتتداخل فيه مشاكلنا العربية مع مشاكله ، مع انهيار الحواجز بين البشر والمدنيات .

وهذا ما ينبغي أن تتداركه الأقطار العربية مجتمعة ، بتخطيط ثقافي موحد ، يتم تنسيقه برؤية شاملة ، وفي وقت محدد ، بحيث تغطي الترجمة العربية التراث الانساني ، القديم والحديث والمعاصر ، في العالم كله ، في انضج تجاربه ، وارفع نماذجه .

لقد أصبح واضحا ان الذين يعترضون على الانفتاح على ثقافات العالم ، والتفاعل مع معطياتها الانسانية ، هم أصحاب ثقافة محدودة ، لم يطلعوا على تاريخ الحضارات في صعودها وانهيارها ، فضلا عما يدل عليه هذا الاعتراض من شعور مخامر بالضعف والنأي ، يخاف من كل اتصال بالغير ، ويرى فيه فقدانا للأصالة المكتفية بذاتها ، وتهديدا لها على أقل تقدير .

ويشكل هذا الموقف الذي ينفي الآخر أحد التحديات التي تواجه الأمة العربية ، والثقافة العربية ، في مرحلة التحديث المعاصر ، بالرغم مما هو معروف للجميع من ان الحضارة العربية كانت من المكونات الأساسية

للنهضة الأوروبية الحديثة ، التى غمرت العالم بالمعرفة والنور ٠

وهذا يعنى اننا ـ فى انفتاحنا على هذه الحضارة ـ نأخذ مما اعطينا ٠

ولو اننا حللنا ـ على سبيل المثال ـ الحضارة اللاتينية ، فسنجد أنها لم ترتفع الى درجة النضج الا بفضل ما اقتفت به من الحضارة الاغريقية ، كما سنجد أن الحضارات الشرقية القديمة ، الآسيوية والافريقية ، كان لها دورها الفعال فى تكوينها ، مثلما كان لهذه الحضارة اللاتينية ، والاغريقية قبلها ، دورها الفعال فى الحضارة العربية ، والحضارة الأوروبية ٠

وقد تحققت كل هذه الصلات والتأثيرات المتبادلة عن طريق الاطلاع والحوار والترجمة ، وفى معترك الصراع الأيديولوجى للعصور ، دون أن تأبه لهذه الأصوات الفقيرة المجدبة ،التى لا تملك الا ان ترى فى التأثر تبعية أو غزوا ، وتنكر كل مصادر اصلية ، غير معترفة بوحدة التجربة البشرية ، وتكافؤ الملكات العقلية فى كل البقاع ، وتكامل المعرفة الانسانية المتباينة على الأرض ٠

وليس من المبالغة فى شىء أن نذكر أن التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى نتطلع اليها فى عالمنا العربى ، من أجل ان تهب رياح الحرية والديمقراطية،

لن تبلغ آفاقها الرحبة ، وغايتها المرجوة ، ما لم تتجاوب مع التجارب المعرفية المتقدمة فى انحاء العالم شرقه وغربه ، وقديمه وحديثه ، التى تشكل روح العصر ونبضه الدفاق ، فى تجلياتها الفكرية والابداعية المتسمة بالرؤية الكونية الشاملة ، والنضج الفنى الكبير ٠

ولن تغتنى الثقافة العربية ، وترتفع قيمتها على كل المستويات السابقة ، الا بقدرتها على فتح النوافذ على الثقافات الأجنبية ، واقامة جسور التواصل بينها وبين التراث الانسانى ، بما يجعل هذه الثقافات وهذا التراث رافدا من روافد التكوين ، لا غنى عنه ، ان اردنا للحياة والفكر الازدهار والارتقاء ، لا الجمود والانحدار ٠

ولو تأملنا هذه الحقيقة ، حقيقة الأخذ والعطاء ، او التاثر والتاثير ، وقمنا باختبارها ، فسنجد أن النهضة الأدبية فى عصرنا الحديث ، منذ رفاعة الطهطاوى وسليمان البستانى فى البداية ، ما كان يمكن لها أن تكون لولا تجذرها فى الثقافات الانسانية ، عبر تاريخها الطويل ، على نحو ما نلمس بجلاء فى ادب أعلام هذه النهضة باتساع الأرض العربية ، كطه حسين ، والعقاد ، والمازنى ، وجبران ، ومخائيل نعيمة ، وتوفيق الحكيم ، ومحمد مندور ، وكل الأسماء اللامعة فى الادب المعاصر ، فى تياراته الثورية الجديدة ، فى القصة ، والشعر ، والمسرح ، والنقد ٠

أما الأدباء الذين تقتصر ثقافتهم على العربية وحدها، ولا يمتلكون لغة أو لغات غيرها ، توثق علاقاتهم بالابداع العالمى ، وتتيح لهم استلهام كنوزه الثمينة ، فلم يستطع أحد منهم أن يقطع ــ فى أحسن الحالات ــ أكثر من نصف الطريق ، ما عدا الاستثناءات القليلة ، التى تخترق بقوة الهامها كل المدارات ٠

وهذا طراز موجود فى وطننا ، كما هو موجود فى سائر الأوطـان ٠

ذلك أن الموهبة الحية بمقدورها ــ حين تصفو لها الرؤيـة ــ أن تبلغ مواقع من الوعى والحس والجمـال التلقائى ، فى الصورة والبناء والتحليل والمجاز ، لا تصل اليه الثقافة المكتسبة ، مهما حازت ادوات الاطلاع الواسع، وامتلكت طاقة التطور والنماء ٠

نعم ٠٠ ولكن تظل هى الاستثناء الذى يؤكد سـلامة القـاعدة ٠

هذه حقائق ومسلمات وبديهيات ، يتعين على النقاد تأكيدها ، كلما ضعف اتصـال أدبنا وفنوننـا بالتراث الانسانى العظيم قديمه وحديثه (بكل ما يترتب عليه من انتشار الجهل) بدعوى القومية او الاقليمية أو المحليـة ، او العودة الى الجذور والمحافظة على الأصالة ، اذ لا تعارض بين هذا كله وبين العالمية ، بل ان العالمية شحذ للمحلية ، ودفع لها لصعود القمم العالية ، خاصـة وان بعض خيوط

To: www.al-mostafa.com

هذا التراث العالمي ـ كما سبقت الاشارة ـ من نسيج الثقافة العربية التي مر عليها وقت كان لابد فيها للمثقف الأوروبي ، اذا أراد ألا يتخلف عن الالمام بثقافات عصره ، من أن يكون على معرفة تامة باللغة العربية ، متمكنا من القراءة بها ٠

لابد للثقافة العربية اذن أن تكون دائما على وعى بالتيارات والتجارب الأدبية المحدثة فى أنحاء العالم ، بقدر ما يجب أن تكون محيطة بكل الأسماء الخالدة التى تعد كعلامات الطريق فى تاريخ الآداب ، ابتداء من هوميروس ، لأنه لا توجد قومية بدون انسانية ، كما أنه لا انسانية بدون قومية ٠

لذلك تؤدى حركة الترجمة ، والدراسات الأدبية التي تعقد عن التراث الانسانى ، دورا مهما فى حياتنا الثقافية ، لا يقل أهمية عن حركة التأليف ، ان لم يزد ٠

وفى ضوء هذه الرؤية أقدم هذا الكتاب ٠

نبيل فرج

هوميـــروس

اعظم شعراء اليونان ، واعظم شعراء التراث الانساني على مدى التاريخ • لا يعرف شيء قاطع عن سيرته ، على كثرة ما كتب عنه ولا يزال يكتب ، وبصفة خاصة منذ القرن التاسع عشر • كما لا يعرف شيء قاطع عن ظروف انشاء الملحمتين الخالدتين : ((الالياذة)) و ((الاوديسا)) •

ولكن من المرجح انه ، على رواية هيروودوت ، عاش في القرن الثامن قبل الميلاد ، وربما القرن السابع ، او منتصف القرن التاسع ، في اقصى شرق بلاد الاغريق ، على الساحل الآسيوى ، وبالتحديد في منطقة ايونيا التى تضم جزر بحر ايجه •

وهناك من الباحثين المحدثين من يشك في وجوده اصلا ، ويعتبرون « الاليـاذة » و « الأوديسـا » مجرد

مواويل قصصية ، نظمت بدرجة عالية من الوحد المحكمة . قام بها عدد من الشعراء والرواة المنشد ونسبت الى هوميروس ٠

كان ضريرا ، عانى طوال حياته من الفاقة ، المرحلة الأخيرة من عمره ، التى طبقت فيها شهرته تكسب بشعره ، ومارس تعليم النظم ٠ ألف « الا و « الاوديسا » فى شكل أناشيد تروى عن أحداث يرجع بعضها الى القرن العاشر قبل الميلاد ، ه باللهجة الأيونية ٠

وتتألف « الإلياذة » من ١٥ الف ، و « والأوديسا » من ١٢ الف بيت ٠

ونتيجة للاعتماد على الرواية الشفوية ، التى عصر التدوين فى القرن السادس ، تعرضت له المنحمتين ، فى تراكمها الكمى ، عبر الأجيال ، والاضافة وعدم الاتساق ، والى تداخل الأم التقليدية العتيقة ، مع الأساليب الأصيلة المصقولة عبر بها الشاعر العظيم عن عصره المتطور ٠

وهناك فروق جوهرية وأساسية بين « الا و « الأوديسا » ، تكاد تجعلهما فى موضع التنا ولهذا استدل بها على ان المؤلف ليس شخصا و

أو لا يمكن أن يكون واحدا ، بل عدة شعراء ، عاشوا في حقب تاريخية مختلفة ، لاختلاف طبيعة كل ملحمة ، واختلاف مادتها ، واسلوبها ٠

فالالياذة ملحمة حربية عنيفة ، تعلي من القوة الجسدية للأبطال ، في المعارك المحتدمة ، وتصور البطش والنهب ، بينما تعلي « الأوديسا » من القوة الروحية ، وتتطلع الى دعة الحياة الأسرية الهادئة ، في ظل النظام المدني المستقر ٠

الا انه من الممكن ، في تفسير نقدي ، أن يكون هوميروس قد أراد ، ببنائه الشامخ للملحمتين ، أن تكون كل واحدة مكملة للأخرى ، باعتبار ان الحياة العريضة ، أو الحضارات المتعاقبة ، تتآلف ، في مجالاتها المختلفة ، من الجانبين معا : الحرب والسلم ، أو الجسد والروح ٠

ولو أننا سلمنا بهذا التفسير ، فسنجد على ضوئه أنه عبر في كل ملحمة عن قيمة كلية واحدة ، من هاتين القيمتين الأساسيتين ، في الزمن الماضي ، والزمن اللاحق ٠

مع هذا فثمة صيغ فنية متشابهة ، كالقاسم المشترك ، تتصل باتجاه هوميروس في عرض أبطاله ، في مواقفهم

الخارجية وعواطفهم الداخلية ، النابضة بالانسانية ، وتتصل كذلك بخصوبة خياله ، وتميز تشبيهاته ، واصالة وصفه ، تكفي للقطع بأن الملحمتين تصدران عن فكر واحد ، أو فلسفة واحدة ، تؤمن بالعقل ، وتتخذه ، دائما ، مرشدا لتوجيه العاطفة .

---

* الأنوار * ، بيروت ، ٢٥ ديسمبر ١٩٨٠ .

هسيود

من أقدم شعراء اليونان الذين تدين لهم الانسانية بما قدمه من اعمال شعرية خالدة ، تنتمي للشعر التعليمي . لا يعرف الزمن الذى عاش فيه ، وهل كان سابقا على هوميروس ، أم معاصرا له ، أم لاحقا عليه .

ولكن من المرجح انه عاش فى القرن التاسع قبل الميلاد ، الا اذا سلمنا بتاثره بملحمة الالياذة لهوميروس فى قصيدتيه ـ الاعمال والأيام ـ وانساب الآلهة ـ فيكون وجوده تاليا لهذا التاريخ باكثر من قرن .

لم تدون اشعاره كما لم تدون أشعار هوميروس الا فى عهد بيزاستراتوس فى القرن السادس قبل الميلاد .

وبيزستراتوس هو الحاكم الذى طبق قوانين المشرع العظيم صولون (١) فى تولية الفلاحين مناصب الدولة ٠

هبطت على هسيود الهة الشعر ، وهو يرعى الغنم، وكللته بالغار ، فتحول من الرعى الى الزراعة التى غدت مصدر الهامه ، ومادة ابداعه ٠ ذلك أنه خلال عمله الجديد اخذ ينظم الأشعار بوحى من الريف والطبيعة ، على نحو يتشابه فيما بعد مع الشاعر اللاتينى فيرجيل ٠

وتعد قصيدة ــ الأعمال والأيام ــ أهم قصائد

---

(١) صولون :

مشرع يونانى عظيم من اوائل الذين دافعوا ، فى تاريخ البشرية الطويل ، عن حقوق الشعب الفقير ، ونادوا بالاصلاح الزراعى ــ رغم انتسابه للطبقة الأرستقراطية ،

عاش فى اثينا فى القرن السادس قبل الميلاد فيما بين ٦٤٠ ــ ٥٦٠ على التقريب ٠

سن مجموعة من القوانين تعرف بقوانين صولون ، تمنع الاستبداد ممثلا فى رق من يعجز عن سداد ديونه ، وتحمى الحرية الشخصية للفرد ، وتشرك الشعب فى انتخاب من يتولون المناصب العليا فى الدولة ، وحق كل مواطن فى حكم بلده ٠

وبهذه المشاركة يتحقق الحكم الديمقراطى فى الدولة ، بدلا من حكم الاقليات والصفوة الذى كان سائدا ٠

والى جانب وضع هذه القوانين نظم صولون الأشعار وعبر من خلالها عن مناهضته للطغيان ، ودعوته للاصلاح السياسى والاجتماعى ٠

هسيود التى حشدها بما ينبغى أن يقوم به العلاح ازاء الأرض والزرع . فى المواسم المختلفة ٠

كما ضمنها كثيرا من التأملات والحكم والمواعظ الأخلاقية ، التى تحض على القيام بالواجب ، والتمرس الدائم بالعمل ، مهما كان المرء متفوقا فيه ، من أجل نفع البشر ، وتدعو الى التمسك بالعدل ، حتى يعيش الانسان سعيدا . والابتعاد عن العنف لأن العنف يؤدى الى الغضب، والغضب طريق يسير للشر ، يحيط به الكبرياء والفطرسة ٠

وكان هسيود قد انشأ هذه القصيدة تحت تأثير الخلاف الحاد الذى نشب بينه وبين أخيه برسيس ، بسبب رغبة هذا الأخ الجشع فى الاستئثار بضيعة ورثاها معا ، ولم يكن له فيها غير النصف ٠

وقد ساعده على ارتكاب هذا الفعل حاكم المدينة أو ملكها ٠

ومما جاء فى هذه القصيدة بيانه الواضح لأخيه بأن طريق الفضيلة طويل فى البداية ، لما يحتاج اليه من ضبط النفس ٠ الا أنه سهل فى النهاية ٠

يقول هسيود :

« ان افضل الرجال قاطبة ٠٠

من يتأمل نفسه فى كل شىء

ومن يتبصر بالأمور ونتائجهـا

ومن يستمع الى النصـح البليغ ٠

أما الأحمـق اللاهى عن أمـوره ،

الذى لا يتعظ بعبر الآخـرين ،

فهو امرؤ حياته وموته سـواء »

ولهسيود عدد آخر من القصائد المهمة نذكر منهـا قصيدة ـ درع هرقل ـ التى تاثر فيها بوصف هوميروس لدرع اخيـل ٠

وفى حديث هسيود عن النساء يحـذر من الوقوع فى شراكهن الخـادع ، بالاستماع الى اقوالهن ، وهن يتخايلن بالأثواب الفضفاضة ، ولعله يقصـد بعرضن مفاتنهن ٠ وعنده ان من يثق بجنس النساء كمن يثق بحاشـية من المنافقـين ٠

هذا عن الموضوع او المضـمون فى خطوطه العامـة العريضة ٠ أما الشكل الفنى فواقعى ، يتخذ الهامه من الأرض لا من السماء ٠ وداخل هـذا الاطار يتجلى للقارىء ارتباط الشـاعر الحميم بالحياة الاجتماعيـة ، وادراكه العميق لهموم الطبقة الشعبية التى ينتمى اليها ، وحرصه على نشر روح المدنيـة ٠

« المساء » ، القاهرة ، ٢٥ ديسمبر ١٩٨٠ .

أســـــخيلوس

أبو التراجيديا الاغريقية ، الذى ارتفع بهـا الى أعلى المستويات الإبداعية . بفضل قدرته على تطويرها ، بادخال ممثل ثالث على منصة المسرح ، بعد ان كانت العروض المسرحية تقتصر علىممثلين اثنين ، واختزاله لدور الكورس، الذى كان يعد ركنـا اساســيا فى الأعمـال السابقـة والمعـاصرة ٠

ولد فى اثينا سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ، ومات فى صقلية سنة ٤٥٥ ق٠م٠ وهو فى حوالى السبعين من عمره ٠

لا يعرف الكثير عن حياته ، لقلة ما كتب عنه ٠ ولكنه كان محاربا شجاعا ، ابلى بلاء حسنا فى معركة ماراثون ، التى انتصر فيها الاغريق على الفرس سنة ٤٩٠ ق٠م ٠ قبل سنوات قليلة من سطوع نجمـه ككاتب تراجيدى ،

بفوزه سنة ٤٨٤ ق٠م ٠ بالجائزة الأولى عن مسرحيته « الضـــارعات » ٠

وتروى هذه الواقعة عن شجاعته فى المعارك ، لأنه حين اتهم بافشاء اسرار الشعائر الدينية فى مسرحياته ، شفع له اشتراكه فى هذه المعركة ٠

نشأ نشأة دينية فى بلدة اليوسس ٠ والى هـذه النشأة يرجع تمسكه فى اعماله بصرامة القوانين الالهية ، فى دلالتها الخلقية ٠

هذه القوانين التى تدين القاتل ، الذى تلوثت يداه بالدماء ، مهما كانت دوافعه نبيلة ، او مبرراته منطقية ٠

ذلك انه لابد للقصاص ان ينزل بالآثمين والا اختل قانون الســماء ٠

تميزت مسرحياته برصانة الفكر ، وفخامة الملابس ، وبلاغة اللغة ٠ اللغة ذات الايقاع الفخم الجليل ، والاعلاء من القيم الخلقية ، وجانب الروح ٠

وبسبب هـذا الأسـلوب الرفيع تعرض اسخيلوس لهجوم ارستوفانيس (٤٥٠ ــ ٣٨٥ ق٠م٠) فى كوميديا « **الضفادع** » ، حين قارن بينه وبين يوربيدس ، الذى اتسم فنه بالبساطة والشعبية ، ولو ان كفة اسخيلوس هى التى رجحت فى النهاية ، بحـكم ان ارستوفانيس نفســه كان ارستقراطيا فى رؤيته وتعبيره ٠

اشترك فى سن السادسة والعشرين ، سنة ٤٩٩ق٠م٠ فى مباريات الدراما التى تقام فى اعياد ديونيزوس ، وبعد ذلك فى اعياد الليناية ٠

ومما يذكر عنه ان ديونيزوس ، اله الخمر والدراما عند اليونان ، تراءى له قبل ان يبلغ الأشد ، وهو الذى اوحى اليه بكتابة مآسيه ٠

ولأسخيلوس سبع مسرحيات معروفة فقط ، رغم انه من المؤكد انه كتب ما يقرب من تسعين مسرحية ، أو خمسا وسبعين ، او ، على الأقل ، سبعين ، على خلاف بين مؤرخى الأدب ٠

على ان المسرحيات المعروفة ترجمت اكثر من مرة الى اللغة العربية ، فى مصر خاصة ، وهى : « **الضارعات** »، « **سبعة ضد طيبة** » ، « **الفرس** » ، « **بروميثيوس مقلا** » وثلاثية « **الأوريستا** » التى تتألف من : « **آجاممنون** » ، « **حاملات القرابين** » ، « **الصافحات** » ٠

وتعد « **الأوريستا** » انضج هذه الأعمال جميعا ، لأن اسخيلوس كتبها فى عمر متقدم ، قبل وفاته بقليل ، سنة ٤٥٨ ق٠م٠ ، وفيها يتجلى ايمانه العميق بالقدر ، وبقوانين الوجود الصارمة التى يدان فيها المذنب بقانون السماء ، مهما كان شرف مقصده ٠

ان انتصار اجاممنون مثلا على طروادة لا يغفر له جريمة التضحية بابنته لالهة الريح ، حتى تتحرر سفنه مما يكبلها . ويتحرك الاسطول البحرى .

وبناء على ذلك يلقى اجاممنون مصرعه على يد زوجته كليتمنسترا ، بعد أن دنست فراشه ، فى غيابه ، مع عشيقها اوجيست .

وعلى الشاكلة نفسها تلقى كليتمنسترا ، القاتلة الفاجرة ، عقابها ايضا ، على يد الايرينيات (**ربات العقاب**) ، جزاء ما اقترفت ، وذلك بأن يقتلها ابنها اوريست .

وهكذا ...

ويعد الكاتب المسرحى سوفوكليس (٤٩٦ ـ ٤٠٦ ق.م.) ، الذى كان له دور فى الحياة العامة فى وطنه ، الامتداد الطبيعى المتطور لأسخيلوس ، سواء فى الشكل الفنى ، أو الرؤية المسرحية ، فى ابعادها الكلية .

« الانوار » ، بيروت ، ١٢ نوفمبر ١٩٨٠ .

أرســـتوفانيس

سيد الكوميديا اليونانيـة بلا منازع • لا يعرف على التحديد تاريخ ميلاده ووفاته قبل الميلاد •• تذكر بعض الكتب انه ٤٥٠ ـ ٣٨٥ ، والبعض الآخر ٤٤٨ ـ ٣٨٠ كتب نحو اربعين مسرحيـة ، وان لم يصلنـا منهـا غير احدى عشرة فقط ، وبعض فقرات من مسرحيات أخرى • ومن بين هذه المسرحيات المفقودة كوميديا ـ دياتيليس ـ التى فازت بجـائزة ثانيـة فى مسابقة سنة ٤٢٧ ق•م •

لا يعرف الكثير عن حياته • ولد فى جزيرة ايجينا فى بيئة ريفية لأبوين قرويين • وهذا يفسر محافظته فى افكاره، وارتباطه الحميم بالأرض والزراعة ودعة الحياة ، وتمسكه بالتقاليد المتوارثة ، وهجومه العنيف على الفلاسفة والشعراء الذين أرادوا اعمـال العقل وتحكيم المنطق وبذلك قوضوا ، فى رأيه ، المسلمات الدينيـة والاجتماعيـة والسياسـية

السائدة مثل سقراط الذى هاجمه فى مسرحية ـ السحب ـ وسخر فيها من السوفسطائيين ، ويوربيدس فى ـ الضفادع ـ ونساء عيد تسموفور ٠

ومن المعروف ان افلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق٠م) قدم العقل على العاطفة باعتباره وسيلة ادراك حقائق الوجود الكلية ، كما يتضح بجلاء فى محاورة ـ ايون ـ كما حمل فى الجمهورية حملة شعواء على الشعراء ، وقدم عليهم الفلاسفة ٠

أما يوربيدس فقد ضرب بالتقاليد والأعراف الموروثة عرض الحائط ، ولم يؤمن الا بالعقل وحده ٠

على ان أهم مواقف أرستوفانيس دعوته الحارة للسلام ، ومناهضته السافرة للحرب بين ابناء الوطن الواحد ، وتنديده بصناع الأسلحة وتجارها المفسدين الذين يدفعون بالبلاد الى الخراب والدمار ، وعلى نحو ما حدث بالفعل فى الحرب الداخلية الطويلة التى قامت بين اثينا ـ موطن ارستوفانيس ـ وأسبرطة ، وانتهت بسقوط اليونان كلها فى يد المقدونيين ثم الرومانيين ٠

كذلك ندد أرستوفانيس بالمستغلين والمحتكرين الذين يمتصون دم الفقراء ، وعرض بالحياة الماجنة للأثينيين . وهاجم كليون حاكم اثينا هجوما عنيفا فى ثلاث مسرحيات متتالية من مسرحياته المفقودة وهى :

أهل بابيلون ٤٢٦ ق٠م ٠

الأخارنيون ٤٢٥ ق٠م٠

الفرسان ٤٢٤ ق٠م ٠

ويحتمل أن يكون هذا الهجوم هو الذى أدى الى مصادرتها ومن ثم فقدها ٠

وبالقياس الى البناء الفنى ومضمون مسرحية ـ الأخارنيون ـ نجد أن ارستوفانيس يحمل الفرد من عامة الشعب مسئولية ما يقع فى بلاده بحيث يتعين على كل فرد ـ كما فعل المواطن الطيب دكيوبوليس ـ أن يؤدى واجبه كاملا ، فيعقد بنفسه ولو وحده اتفاقية الصلح او الهدنة مع بنى وطنه من الأعداء حين يعجز عن شجب الحرب ، واقناع اعضاء ـ جمعية الشعب ـ بضرورة السلام ٠

واذا كان كتاب التراجيديا الاغريقية مثل اسخيلوس وسوفوكليس ويوربيدس قد استقوا مادتهم من الأساطير الشعبية فان ارستوفانيس قد استقى موضوعاته من الحياة الواقعية مباشرة ، او خلق مادتها على شاكلة هذه الحياة، على النحو الذى يهيىء له فرصة النقد اللاذع على المستويات المختلفة ، الذى يعد هدفه الأساسى فى اعماله المسرحية ٠

الا أن ارستوفانيس يتفوق على هؤلاء الكتاب الخالدين بقدرته على ابتكار المواقف الكوميدية ، وعلى رسم « النماذج » أو « الأنماط » ٠

« المساء » ، القاهرة ، ١٣ نوفمبر ١٩٨٠ ٠

سـقراط

فيلسوف يوناني عاش في أثينا فيما بين ٤٦٩ ـ ٣٩٩ قبل الميلاد .. كان يجوب طرقات العاصمة اليونانية وميادينها يحاور كل من يلقاه ويثير فكره ، معتمدا في حواره على الاستدلال القياسي والاستقراء والبراهين اليقينية .

ولأن شهرته طبقت الآفاق ، كأحكم ابناء عصره ، تعرض لبغض السياسيين والشعراء والصناع والخطباء ، واتهم بانه يفسد الشباب بالدعوة الى آلهة جديدة غير الآلهة القديمة ، وانه يحيل الحجج الواهية الى حجج قوية دامغة .

وظل سقراط متمسكا بمنهجه وبايمانه بأن الحياة ، التي لا نتأملها ونتمعن فيها ، لا تستحق ان نعاش .

وفي دار القضاء ، في مدينة اثينا ، جرت محاكمة سقراط سنة ٣٩٩ قبل الميلاد ، وكان قد تجاوز السبعين

من عمره ، بناء على اتهـام قدمه شخص يدعى ميليتوس ، مفاده أن سقراط يكره آلهة أثينا ، ويحض الشباب على الايمـان بآلهة جديدة . وانه يتطلع الى ما فى السـماء وما تحت الأرض ، ويحيل الأدلة الضعيفة ، بقوة الحكمة العقلية التى يمتلكها ، الى حجج قوية ، اى الباطل الى حـق ٠

ولم تكن هذه الاتهامات خافية على سقراط نفسه ، لأنها كانت تعم المدينـة بأسرها ، وبالطبع تناهت اليه قبل أن يمثل أمام القضاء ، اذ يقرر فى دفاعه ، أنها حيكت له منذ زمن طويل ٠

وهذه هى القصة على حقيقتها :

كان سقراط قد علم من صديقه خريفون أن الاله ابوللون نطق باسمه فى معبد دلفى ، على لسان الكاهنـة بونيا ، معتبرا اياه احكم البشر ٠

وحتى يتحقق سقراط من صدق هذه النبوءة ، توجه الى عدد من الحكمـاء والفلاسـفة فى عصره ، ممن ذاعت شهرتهم فى هذا المجال ، وقام بمحاورتهم ، ثم قصد رجال السياسة ، فالشعراء ، فالصناع ، فالخطباء ، وتيقن من هـذه المحاورات أنه لا يختلف عنهم فى الجهل بكثـير من الأشياء مثل : الخـير ، الجمال ، الفضيلة ، الأخـلاق والسـعادة ٠

ولكن نقطة الخلاف الوحيدة التى تؤكد انه بالا
أكثر حكمة منهم ، وأرفع مكانة ، أن الذين حاورهم تصو
انهم يعرفون ، وهم ، فى الحقيقة ، لا يعرفون شيئا ، بـ
هو لا يعرف شـيئا ، الا أنه ـ بخـلافهم ـ لا يزعم
يعرف ٠

ولان سـقراط كشف جهل كل من حـاوره أه
بغيضا من جميع مدعى الحكمة فى عصره ، الذين ينظاهر
بالعلم والمعرفة ، وهم أكثر الناس بعدا عنها ٠

وبذلك أعطى خصومه السلاح الذى شهروه ضده
وهو انه يجدف ٠

فى دفاع سقراط عن نفسه ، الذى أورده افلاطو
نجد سقراط يحـاور ميليتوس ،صاحب الاتهام ، ويكذ
كذب ادعائه ، ويبين للقضاة أو المحلفين ، وعددهم خمسم
تضارب موقفه ، اذ يتهم ميليتوس سقراط بأنه لا يـ
بالآلهة مطلقا ، ثم يتهمه بأنه يؤمن بها ، ولكنـه يـ
ان الشمس قطعة من الحجر ، وان القمر أرض ٠

والقول الأخير لا يعد اتهاما على الاطلاق ، لأن ك
« فى الطبيعة » للعالم اناكساغوراس ـ الذى تتلمذ سقر
على يديه ـ يتضمن منذ منتصف القرن الخامس قب
الميلاد هذه المعارف بنصها ، وهى فى متناول الجميع ،
سقراط ، لا حاجة لأحد من شباب اثينا اليه لكى يه
بهـا ٠

ومن يطالع محاورات سقراط يجد انه يضع دائما الاجابات التي يتلقاها ممن يحاورهم في سياق اسئلة اخرى ، تبين تناقضها من خلال الاستدلال القياسي ، وبحثه الأساسي عن طبيعة الشيء في حقيقته ، او ما يصطلح عليه « ماهية الشيء » .

على انى اعتقد ان أهم ما عبر عنه دفاع سقراط ليس دحض الاتهامات المغرضة التي لفقت باطلا ، او تصديه الشجاع للجهل والجهلاء ، ودفاعه الرائع عن العقل ، وانما اعلاؤه المبكر من قيمة الموقف الذي يقفه الانسان في الحياة ، وتمسكه هو به ، بحيث تجيء الأفعال مطابقة للمعتقدات. ويعني بها الرسالة التي يضطلع أو يلتزم بها ، طالما أنه على قيد الحياة .

في هذا الموقف وحده ، كما ذكر بنفسه ، شرف الانسان ، ومن تمسك بالشرف لم يبال بأي شيء آخر .

لهذا كان من الطبيعي أن يعيش سقراط حياة متقشفة ، في فقر مدقع ، الى الدرجة التي يسير فيها حافيا ، رث الثياب ، لأنه وقف حياته على هدف واحد ، حدده في الدفاع والمحاورات ، وهو خدمة الاله بتحري حقيقة ما وصف به من حكمة ، من خلال تحري الحقيقة من ذاتها .

ولأن هذا الموقف العنيد كان السبب الحقيقي في محاكمة سقراط ، فقد بين بجلاء في دفاعه أنه لن يطيع

الحكمة ان هي طلبت منه ـ مقابل اطلاق سراحه ـ ان ينصرف عن هـذا الهدف ، لأنه يرى ان طاعة الآلهـة ، بمنهج حياته هذا ، اولى من طاعة البشر ٠

وبلغت به الشجاعة حد ان اكد لقضاته انه ، اذا عاد الى الحيـاة المدنية ولم يعدم ، فسيظل يطوف بطرقـات اثينا وميادينها واسواقها ، كما كان يفعل من قبل ، يختبر كل من يقابله على المنوال نفسه ، ويثير تفكيره ازاء ما يعرض له ، ويدعوه الى ان يسـمو بالروح بدلا من التكالب على الماديات ، لأن المـال لا يجلب الفضيلة ٠

وأدين سقراط ، فحكم عليه بأن يجرع السم حتى الموت ٠

واثناء وجوده في السجن ، قبل الاعدام ، وضـع له عدد من أصدقائه ومريديه خطة للهرب ، ولكنه رفضها ، حتى لا تتناقض فلسفته الأخلاقية مع سلوكه ٠

« الأنوار » ، بيروت ، ١٤ ديسمبر ١٩٨٠ ٠

فرجيلـيوس وتيبـول

يعد فرجيليوس أعظم شعراء اللاتين بلا منازع • ولد سنة ٧٠ قبل الميلاد ، فى منطقة كيسالبينا ، بين جبال الألب والأبنين • وفى سنة ٥٥ ق•م احتفل على عـادة الرومان ببلوغه الخامسة عشرة ، بارتداء ثوب الرجولة ، وهو عبارة عن عباءة من نوع خاص • وفى الثامنة عشرة انتقل الى روما للدراسة •

بدأ نظم ديوان (الرعويات) سنة ٤٧ ق•م• ، وفى ٢٩ ق•م• انتهى من نظم الزراعيات •

أما (الانيادة) التى ارتبط اسمه بها فلم يبدأ نظمها الا فى سن الأربعين وهو فى قمـة النضـج ، وقد استغرق تأليفها العقد الأخير من عمره على التقريب ، دون أن يتمكن من مراجعتها وتنقيحها • وكان يقدر لهذه المراجعة ثلاث

سنين على الأقل . ولذلك تاهب للقيام برحلة فى بلاد الاغريق تجدد ملكاته الابداعية الفذة . ولكنه اصيب فجأة بالملاريا اثناء الرحلة ، وتوفى سنة ١٩ ق.م. عن احدى وخمسين سنة .

ولان فرجيليوس كان يكتب ببطء شديد كأنه ينحت فى صخر . ولا يرضى عن انتاجه الا بعد أن يعيد فيه النظر، طلب من أصدقائه المحيطين به حرق (الانيادة) ان اختطفه الموت ، طالما أنه لن يتمكن من مراجعتها وصقلها .

الا أن الامبراطور أوغسطس أمر بنشرها كاملة كما هى على النحو الذى خطها به ، ولو أن الفقرات التى كتبها فرجيليوس على الهامش اسقطت فيما عدا اربع فقرات فقط ادرجت فى النص .

وبذلك حفظ رجل السلاح للتراث الانسانى أثرا شعريا خالدا لا يرقى الى صرحه الشامخ اثر آخر باستثناء (**الانيادة**) و (**الأوديسا**) لهوميروس ، لم يترجم كاملا الى اللغة العربية الا فى السبعينات .

وعلى شاهد القبر نقش بيتان من الشعر قالهما فرجيليوس فى النزع الأخير ، يتغنى فيهما ببلدته التى انجبته والبلدة التى انتزعته واحتوته ، مشيرا الى اعماله الكاملة التى تغنى فيها بالمراعى (**الرعويات**) وبالحقول (**الزراعيات**) وبالقادة (**الانيادة**) .

وتعد هذه الأعمال سجلا مبدعا يعكس حضارة العصر ، ماضى الأمة وحاضرها . وما تطلعت اليه من مثل سامية وروقى بشرى ٠

ومن معاصرى فرجيليوس شاعر لاتينى آخر من شعراء الغزل والمجون الذين تغنوا بالحياة الفطرية البسيطة فى حقول ومزارع القرى الصغيرة التى لا يرتفع فيها غير صوت خرير الماء ، ولا يسودها الا الحب والهدوء والسلام ٠

هذا الشاعر هو تيبول أوتيبولس ، الذى تغنى فى اشعاره بكل المعانى الانسانية السمحة . وكان بشارة بمجيء السيد المسيح ٠

ومثل هذه الدعوة تتناقض على طول الخط مع ما يعهد عن الرومان كرجال حرب وحملة سلاح ٠

لا يعرف بالضبط تاريخ ميلاده أو وفاته ، ولكن يرجع من الاشارات الواردة فى كتب التاريخ وقصائد الشعراء انه ولد سنة ٤٨ق٠م٠ وتوفى سنة ١٩ أو ١٨ ق٠م٠ عن ثلاثين سنة ٠

أتقن اللغة اليونانية مثل اتقانه للغة اللاتينية ٠ نشر ديوانه الأول فى حياته سنة ٢٦ ق٠م ويتضمن عشر قصائد تبدأ بقصيدة يعلن فيها انقطاعه عن كل جهاد ، وبقاءه بجوار حبيبته ديليا ، ولو عاش عيشة الكفاف ، حيث يقول فى مستهل القصيدة معبرا عن فلسفته :

« ليكدس غيرى من الذهب الأصفر ، ويملك آلاف الفدادين من الأراضى الخصبة ، حتى يفزعه ألم مستمر لقربه من عدو ، ويحرمه لذة النوم صوت أبواق الحروب.

اما انا فلاقضين الحياة فقيرا غير كاد ما دام بينى ضوء دائم » .

ويعنى بالضوء هنا الحب والمتعة والجمال .

« المساء » ، القاهرة ، ٢٧ اكتوبر ١٩٨٠ .

أوفيـــــد

فى الجزء الثالث من كتاب « فن الهوى » ، أسدى الشاعر اللاتينى الخـالد أوفيد (٤٣ ق٠م٠ ـ ١٨ م ٠) نصائحه الى المرأة ، حتى تحتل مكانها فى قلب من يحبها ، وهى فى كامل جمالها ، وتاخذ حقهـا العادل من هذا الحب ، فى القسمة المتساوية بينها وبين الرجل ٠

وقبل ان يقدم أوفيد نصائحه الى المراة ، كان قد وجه الى الرجل ، فى هذا الكتـاب وفى غيره من الدواوين ، عددا من النصـائح والتعاليم ، لعل اهمها عدم المغـالاة فى التجمل ، وان يبدع لنفسه روحا مشرقة تبقى عالقة به حتى آخر العمر ، وان يصقل فكره وحسه بالفنون والآداب ، ويغترف من لغتها سحر القول ، بغير اسراف فى البلاغـة ، وان يؤمن بان المثابرة والاقدام الجسور فى الحب هما الطريق الذى يكلل مسعاه للنصر !

اما نصائحه الى المراة ، فالمقصود منها الا تقف فى مواجهة الرجل ، المدجج بالأسلحة ، عزلاء ، بلا حراب ٠

وفى البداية لابد من الاشارة الى أن اوفيد نشأ فى اسرة ثرية ، وأنه كان ينظر الى المراة نظرة واقعيـة ، موضوعية ، تنبع من تجربة حية معها ، أحب فيها اوفيد امراة تدعى كورينا ، بالاضافة الى ما اكتسبه من خبرة خلال غرامياته العديدة مع نساء روما ٠

هذه النظرة لا تتحامل على المراة أو تستخف بها ، وفى الوقت نفسه لا تتحيز لها بلا حق ٠ وهـذا سر صدقه الانسانى ، وخلود اشعاره ٠

تدرك هذه النظرة أن المراة ليست كائنـا او طرازا أو نمطا واحدا ، فلكل امراة عطاؤها ، كما أن الحقول ليست متماثلة فى غلالها ٠

فكما أن من الحقول ما يظل الكرم والزيتون ، ومنهـا ما يظل الحنطة ، كذلك المراة ٠٠ كل واحدة وفق طبيعتها وتكوينها ومسلكها الذى يمكن أن يصعد بها الى الذرى العالية ، بعفتها واخلاصها ونضحياتها ، ويمكن أن يهبط بها الى العالم السفلى ، بخطيئتها واحابيلها وشرها ، مع تسليم اوفيد صراحة ، فى بعض اشعاره التى قد يناقضها

البعض الآخر ، بأن المرأة تعتبر « ثوب الفضيلة واسمها »، لأنها لا تركن فى حبها الى الخداع او المخاتلة ، مثلما يصنع الذئاب من العشاق الزائفين ، حين يغررون بمن لا يعرفن فنون الحب من الفتيات الصغيرات ، ثم يتخلون عنهن فى الشواطىء المهجورة .

ورغم هذا فان اوفيد ، كرجل ، لا يخفى تعاطفه مع جنسه . عندما يغرى النساء بأن يكن ألين عريكة ، لا يتأبين على العشاق الصادقين ، ولا يحجبن مفاتنهن عنهم ، لأنهن لن يخسرن شيئا ، ولو خانهن هؤلاء العشاق بعد ذلك !

ولاشك ان الشعر هو الذى أغرى اوفيد بهذه الدعوة، التى لا تصدر الا عن ربان الهوى وقائد قافلته ، كما يصف نفسه ، فى مرحلة من الازدهار الأدبى والفنى ليس لها نظير فى تاريخ اللاتين ، تألقت فيها فى عصر الامبراطور أوغسطس (٣١ ق٠م٠ ــ ١٤ م) ، مع اوفيد أسماء الشعراء الخالدين : فيرجيل (٧٠ ق٠م٠ ــ ١٩ او ١٨ ق٠م٠) وهوراس (٦٥ ق٠م٠ ــ ٨ ق٠م٠) .

على ان اوفيد لا يبخل بنصائحه التى تعين المرأة على الوصال ، وهى تمتلك أسلحة الدفاع عن نفسها ، فى نطاق أو حدود الحقوق المدنية التى يكفلها القانون الرومانى للمرأة ، وهو قانون ، بمفاهيم عصرنا وليس العصور

القديمة فقط ، متقدم من بعض وجوهـه ، يحيط المرأة بالاحترام والاجلال ٠

لا يقر هذا القانون مبدأ التعدد فى الزواج ، ولا يسمح بالطلاق الا فى أحوال معينة ، مثل علة الزنا ، ويتيح للمرأة ان تعقد خطبتها بنفسها مع خطيبها ، ويمنحها ايضا حق فسخ الخطبـة اذا رغبت ، فلا يتم لها زواج او طـلاق الا برضاها وارادتها الحرة ٠

ويمهد اوفيد لنصائحه تمهيدا ذكيا ، يدعو فيه المرأة الى اغتنام فرص السعادة ، قبل أن تمضى حياتها كالمـاء المنساب ، لا تريد موجاته ان مضت ، واذا انقضت ساعاته لا تعود ٠

ان المرأة اذا صدت فى ربيع عمرها محبا غزا قلبها ، ضاعت منها السعادة الى الأبد ، ولا تلبث أن تجد نفسها عجوزا بلا دفء الحبيب ، تتسع الخضون فى جسـدها ، وقد ذبلت كل مفاتنها ، ويعشى الشعر الأبيض راسها ٠

والحق ان المرأة فى نظر اوفيد ليست مهددة فقط بالزمن ، وانما هى مهددة ، فوق الزمن ، بالانجاب الذى يقتطع من عمرها سنوات الشباب ، وتؤدى كرته ، مثلما يؤدى توالى زرع الحقل ، الى الجفاف والهرم ٠ وهى من الحقائق العلمية التى أثبت الطب الحديث صحتها ، وتؤخذ كدليل على ضرورة تحديد النسل ، من أجل أن تحتفظ المرأة بشبابها وحيويتها ٠

To: www.al-mostafa.com

لهذا يبدأ اوفيد نصائحه للمراة بالعناية بجسدها ، قبل أن تعصف به الريح العاتية . طلبا لملاحة المظهر ، فى ظل مدينة حديثة تتسم بالتحضر والرفاهية ٠

وبحس دقيق بمواطن الجمال ، يرى اوفيد انه ليست هناك طريقة واحدة للمرأة للتجمل ، ولاخفاء العيوب التى لا يخلو منهـا وجـه ، ولو كان مجرد شـائبة صغيرة ، فعلى المراة ان تختار ما يناسبها من طرق الزينة ، كما تمليه عليها المرآة التى تطالع فيها وجهها وقوامها ٠

فاذا كان وجه المراة بيضاويا ، فان فرقا بسيطا فى شـعرها يضفى عليها حسنا فائقـا ، واذا كان وجههـا مستديرا فان كعكة صغيرة من شعرها المرفوع فوق جبينها. تكشف رقبتها واذنيها ، يجعلهـا رائعة الجمال ، بينما تكتسب اخرى الجمال اذا ارسلت شـعرها طليقـا على كتفيها ، او تركته يتموج كالبحر ، او ضفرته فى جدائل ٠

وهذه التسريحات التى يصفها اوفيد بريشـة الفنان التشكيلى ، لم تكن كلها نابعة من خياله ، ولكنها كانت تسريحات شهيرة لنساء معروفات فى التاريخ اشتهرن بها ، او وردت قصصهن فى الأساطير التى استقى منها اوفيد الكثير من اشـعاره ، ويذكرهن ، احيانا ، بالاسم ٠

وبالنسبة للثياب يسخر اوفيد من ثقلها ، ومن كثرة حواشـيها وتطريزها ، ويفضـل عليها ثوبـا بسيطـا

بلا اكسسوارات ، تزهو به المرأة ، فى لون السماء الصافية، او الورد الأبيض ، او فى صفرة الذهب ، او خضرة ماء البحر ، حسب بشرة المرأة ، اذ انه لا يوجد ايضا لون واحد فى الثياب يناسب كل النساء ٠

وعنده ان اللون الرمادى يلائم البشرة البيضاء ، واللون الأبيض يظهر فتنة السمراء ٠ ولعل العكس ايضا يكون صحيحا ، فمن المعروف ان الثوب الأسود الفاحم ، وليس الرمادى فقط ، يبرز جمال البيضاء ٠

وفى ابيات متتالية من ديوان « فن الهوى » يشير اوفيد اشارات خاطفة الى اهمية المساحيق فى اكساب البشرة نضارة اذا تخاذل فيها الدم ، كما يشير الى نصاعة الأسنان ، وتزجيج الحواجب النحيلة ، وتكحيل العينين ، وتنعيم الساقين ٠

ويوصى اوفيد المرأة بأن يتم ذلك كله فى الخفاء ، وباب غرفتها مغلق عليها ، لا يراها أحد ، لئلا تبعث التأفف فيمن ينظر اليها ٠٠ « فالكثير مما يبهرنا حتى يكتمل قد يصدمنا خلال انجازه » ٠

ثم يقدم اوفيد بأشعاره التى تحدث الزمن مجموعة من النصائح المهمة خاصة بسلوك المرأة ، وابراز احاسيسها الذاتية ٠

من هذه النصائح ألا تغرق فى الضحك الى حد الكشف عن منابت اسنانها ، واهتزاز خاصرتها ٠ حسبها ان يفتر

ثغرها عن ابتسامة خفيفة ، تمتزج بها رنة انثوية رقيقة ، وان تكون معتدلة فى كل امورهـا ، لا تسرف فى شىء ، هادئه ، لا تنفعل أو تغضب أو تكتئب ، وان تقبل على الطعام برفق ، لا تستسلم لشهيتها ، لأن مشاهدة المراة النهمة ، أو تلك التى يغلبها النعاس فى الولائم ، يقلب حبها كرها ، وأن تمشى أو تخطر خارج بيتها بين حين وحين ، معتدة فى خطوها ، على النحو الذى يثير الاعجاب فى نفوس الرجال .

وهناك مجموعة اخرى من النصـائح تتصل بمعرفة المراة للغناء ، وحفظ الأشعار ، والرقص ، ولعب النرد والشطرنج ، وغيرها مما يعزز ، فى رايه ، انوثة المراة ، وكان لا يليق بها ، فى هـذا العصر المترف ، أن تجهلها ، لأنه من المحتمل للمراة أن تظفر من خلال هذه المعرفة بتلك الفنون بفتى أحلامها ، وتستأثر بقلبه ، وهو غايتها وهدف الشاعر من نصائحه فى كتابه الخالد « فن الهوى » ، الذى ترجمه الى اللغة العربيـة ، عن الانجليزية والفرنسية ، فى لغة رفيعة المستوى ، الدكتور ثروت عكاشة ، وراجعـه على الأصل اللاتينى الدكتور مجدى وهبة ، وطبع حتى الآن أكثر من مرة ، متضمنا مجموعة رسـوم للفنان العالمى بابلو بيكاسو .

« حواء » ، القاهرة ، ١٦ ابريل ١٩٦٤ .

القـــديس باســـيليوس

توافق السنة المقبلة ١٩٧٩ ، ذكرى مرور ستة قرون ونصف على ميلاد القديس باسيليوس الكبير ، وســتة قرون على وفـاته عن خمســين ســنة . عاشــها فى ظل الامبراطورية الرومانية ، منذ عهد قسطنطين الأول . حتى عهـد فانس او فالنتينيان ، اى قبل نحو مائة ســنة من العصور الوسطى ، التى يبدأ تاريخها بسقوط روما ســنة ٤٧٦ ، وينتهى سنة ١٤٥٣ بسقوط القسطنطينية ، حيث ساد خلالهـا . فى العـالم المسيحى ، النظـام الكهنوتى المتزمت .

ولد القــديس باسيليوس فى قيصريــة الكابادوك من اعمال تركيا لأسرة غنية ، وتلقى تعليمه الابتدائى فى هــذه البلدة ، ثم فى القسطنطينية ، واخيرا فى أثينا . ولم يكد ينتهى من مرحلة التعليم حتى طاف بالعديد من بلدان الشرق

والغرب ، ومن بينها مصر وسوريا وفلسطين . لكى يتفقد اديرتهـا ، ويلتقى برهبانهـا . ويناقش معهم بعض أمور الدين ٠

وللجهـاد العظيم الذى قام به القديس باسيليوس الكبير ، فى حياته العمليـة وعبر مؤلفاته ، بهـدف دحض الضلال المتفشى فى الامبراطورية الرومانية ، وتحقيق اكبر قدر من العدالة الانسانيـة التى تنـادى بها المسيحية فى تعاليمها ، يقام له ، كل سنة ، عيد فى الشرق والغرب . فى تلاريخين مختلفين ، اذ يحتفل به الشرق فى اول ينـاير ، ويحتفل به الغرب فى الرابع عشر من يونية ٠

واذا اردنا أن نحلل صـورة هذا القديس المـادية والروحيـة ، كمـا نطالعهـا فى رسـومه ، ومن حوله الملائكة ،وعلى مائدة صغيرة بجانبه كتاب كبير ، هو الكتاب المقدس ، نجد عيونا عميقـة المستقر ، تحملق ببصرهـا وبصيرتها فى السماء او الفضـاء ، ووجها نحيلا منضعا ، يعبر عن اللطف والوداعة ، وجسما فارعا يتشح بالسواد ، يوحى بالتؤدة والوقار ٠

وككل المصلحين فى تاريخ البشرية . الذين ناضلوا من أجل التقدم ، وجاهدوا الجهاد الحسن ، تعرض القديس باسيليوس للمقاومة ، من قبل أثرياء الامبراطورية ، رغم انتمائه اليهم على نحو من الأنحاء ، قبل أن يتنازل عن

ثروتـه ، وأملاكـه ، عمـلا بقول المسـيح فى انجيـل متى :

« اذا اردت ان تكون كاملا فاذهب وبع املاكك ، وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز فى السماء » ٠

وتحقيقا لقول الكتاب المقدس ايضا : **« بعرقك تاكل خبزك »** ٠

فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الميلاد ، كان القديس باسيليوس يطالب بنوع من العدالة الاجتماعية التى لا تزال تجد من يرفضها بشدة ، أو يجفل من نتائجها على مصالحه. ولم يكن له من سند الا ما جاء فى الكتاب المقدس ٠ تتحقق هذه العدالة بأن يأخذ كل فرد نصيبه من كل شىء ، فقط، مكتفيا بالقدر الذى يلزمه ، لا أكثر ، اما الفائض فعليه أن يتخلى عنه لمن هم بحاجة اليه ٠

وبذلك لا يبقى فى يقينه غنى ولا فقير ٠

تتضح هذه الدعوة بشكل صريح ومحدد فى الموعظـة السادسة من مواعظ ورسائل القديس باسيليوس ، حيث يقول :

« الخبز الذى تحفظه فى المخبـا هو ملك للجيـاع ، والثوب الذى تودعه الخزانة هو ملك للعراة ، والحذاء الذى يتلف عندك هو ملك للحفاة ، والذهب الذى تدفنه هو ملك للمحتـاجين ٠

وهكذا فانت مجحف بحق جميع الذين تستطيع أن تسد حاجتهم ، ولا تفعل ذلك » ٠

الملكية الخاصـــة اذن ، فى شرعـــة هـــذا القديس ، ليست مطلقـــة ،بل هى مشروطة ، وحسب ، بالحاجـــة الضرورية ، والا انتفت هذه الحاجة ٠ وأى تعلق مفرط بالشىء الزائد ، شر لا جدال فيه ، ولا نفع منه ٠

ومعنى هذا انه يقلل من حجم الملكية الخاصـــة الى اقصى حد ٠ ومن يتغافل عن حق الغير فى خيرات الله يرتكب اذى فادحا ، ويصنف ايضا بين السارقين ٠

ومن يراجع مفهوم احد فلاسفة المسيحية الذين جاؤوا بعد القديس باســـيليوس ، مثل القديس توما الاكوينى (١٢٢٥ ـــ ١٢٧٣) ، لموضوع الملكية الخاصة ، يلاحظ تأثره المباشر بافكار باسيليوس ، فقد كان الاكوينى يرى ان الملكية الخاصـــة مشروعة من ناحية مجرد الحيازة . ولكنها عامة من جهة الانتفاع ٠

كذلك يرى القديس باسيليوس بجلاء تام ان العقاب دائما من جنس العمـــل ٠ من لم يرحم ، لا يرحم ٠ من لا يفتح بيته ، يقص عن ملكوت السماء ٠ ومن لم يطعم خبزه ، لا يرث الحياة الأبدية ٠

وعلى غرار ما جاء فى الانجيل من انه يعسر على الغنى ان يدخل ملكوت الله ، وأن مرور جمل من ثقب ابرة أيسر

من ان يدخل غنى ملكوت الله ، تشف أقوال القديس باسيليوس عن ادراك حاد للجشع الذى يصيب الأغنياء ازاء الذهب ، بحيث يفقدهم رشدهم ، ويقصر مخيلتهم باتجاهه وحده ، تحت تاثير نفسى لا يقاوم . ذلك ان محبة المال ، كما جاء فى رسالة بولس الرسول الأولى الى تيموثاوس ، اصل لكل الشرور .

لهذا كان القديس باسيليوس لا ينى يدعو الأغنياء ان يفتحوا بيوتهم ، ويوزعوا اموالهم على بيوت الفقراء ، كما تشق آلاف الأقنية الحقول العريضة المترامية ، وتتوزع بها مياه النهر الكبير ، لتسقى الأرض ، وتخصب الزرع .

وبمثل هذا الفعل الايجابى المريد يتحرك المال ، ويصبح مثمرا ، لا مجمدا داخل الصناديق ، ولو انه يرى، فى أكثر من موضوع آخر ، ان تجميد المال فى الخزائن ، والفقر سائد ، يعرضه للانفجار والتقويض ، بالثورة الشعبية المحتومة للفقراء .

ولم يكتف القديس باسيليوس بحض الأغنياء على التنازل عن اموالهم الزائدة المكدسة للفقراء ، لتحقيق احلام الانسانية ، بل انه اقام أيضا ، على المستوى النظرى ، مدينة فاضلة ، او فردوسا أرضيا ، عنى فيه بالجوهرى الذى تمثله ، من بعده ، عدد من الفلاسفة ، الذين اقاموا مدنا فاضلة ، تخلو من النقص الذى تعانى منه المدن القائمة .

هذه المدينة التي شادها القديس باسيليوس عبارة عن بيت كبير في حجم المدينة ، يأوى اليها المريض والعجوز والضال والغريب والتلميذ والعامل ٠

وفي وسط هذه المدينة الجديدة التي تتخطى وتفضح مدننا القديمة الشائهة ، تقام كنيسة للصلاة ، يقوم على ادارتها الرهبان ، اولئك الذين يمهدون في يقينه للحضارة الانسانية المقبلة ٠

غير ان هذه المدينة ليست ابنية وخدمات وصلاة فقط ، وانما هي ، من قبل ومن بعد ، عمل ، يتحتم على الجميع انجازه بأعلى درجة من الجودة والاتقان ، حتى نزيد الثروة المادية ، ويتطور الانتاج ، بفضل تنمية مواهب العاملين ، كل عامل حسب ما تهبه الطبيعة من استعدادات فطرية ومكتسبة ، وحسب ما يمتلك من ملكات ٠

وبحكم ان هذه المدينة من تصور رجل دين في المحل الأول ، لا رجل سياسة ، فهي لا تعمل للطعام الفاني ، ولكن للطعام الذي يدوم بالايمان العميق في الحياة الأبدية٠

ويومىء عدد من الذين تعرضوا للقديس باسيليوس الى ان هذه الأفكار المتقدمة التي جاء بها ، اخذت بها او بمعظمها على الأقل المجامع الدينية ، ونصت عليها الوثائق الثابتة التي ترى أن استخدام الانسان للخيرات

يجب أن يتم باعتبارها ملكية عامة ، تعود على الجميع بالنفع ، لا ملكية خاصة ، يستأثر فيها الفرد الواحد دون الآخرين .

ان تعاليم القديس باسيليوس الكبير ، التي استقيت مباشرة من تعاليم السيد المسيح ورسل المسيحية الأوائل، تؤكد ما في الأديان السماوية من انسانية ، تزري بكل محاولة لتنكب طريقها .

لذلك تعد هذه التعاليم ، بما انطوت عليه من دعوة طيبة للخير ، قوة من قوى التقدم في العالم المعاصر ، لا ينبغي طرحها أو التهوين من شأنها ، طالما ان النظرة اليها تتسم بالوعي ، والالتزام ، والموضوعية .

---

* الأنوار * ، بيروت ، ٢٨ مايو ١٩٧٨ .

موليـــــير

تحتفل فرنسا هـذا العـام بمرور ثلاثة قرون على وفاة موليير (١٦٢٢ ـ ١٦٧٣) ٠

وعلى الرغم من مرور هـذا الزمن الطويل ، لا يزال موليير يعد أعظم كتاب الكوميديا فى العصور الحديثة وفى العـالم أجمع ، ولا يزال انتاجه ، حتى هـذه اللحظـة ، نابضـا بالحياة ، كأنه صادر عن كاتب معـاصر ، نافذ البصيرة ، قادر على رؤية ورصد العيوب الاجتماعية الخفية والشائعة ، ومواطن الاعوجاج فى الشخصـية ، من أجل تخليص الانسان والمجتمع من سخائمها ٠

ولد جـان باتست ، الذى عرف فيما بعد باسـمه الأدبى موليير ، فى حى من أحياء باريس الشعبية ، لأبوين على جانب من الثراء ٠ وفى سن العاشرة أو الحادية عشرة ـ

على اختلاف بين المؤرخين ـ توفيت أمه التي ورث عنها رهافة الحس . وفي هذا العمر المبكر كان جده يصحبه لمشاهدة المهرجين في الأسواق ، حيث تلقى أولى بذور الفن.

وبعد ان أتم دراسته للقانون خالف رغبة أبيه واقاربه . ورفض الاشتغال بالمحاماة ، لئلا يواجه « **التوافه العدالة** » و « **الدعاوى المربكة** » !

اتجه موليير بكليته الى المسرح ، فكون سنة ١٦٤٣ فرقة مسرحية جابت ريف فرنسا المترامي سيرا على الأقدام ، أو فوق الخيول ، وموليير احد ممثليها المغمورين ، ينتهزون أيام الأسواق والأعياد الشعبية والوطنية لكي يقدموا عروضهم تحت اقسى الظروف .

وفي غضون هذه المرحلة الممتدة حتى سنة ١٦٥٨ التحم موليير بالطبقات الشعبية . واكتسب على الطبيعية خبرة مسرحية عالية بما يقبل عليه الجمهور ، وما يعرض عنه .

وما أكثر ما كان عنه مزورا ! .

كما انتفع موليير الى أقصى حد بمخالطته للبيئات والطبقات العالية ، التي ادت معرفته الناقدة لها ، المنعكسة في اعماله المسرحية ، الى الاصطدام بالمجتمع والكنيسة .

غير ان الحياة لم تمض بالفرقة على وتيرة واحدة . ففي السنة الأولى تعرضت للفشل وسخرية الجمهور الباريسي . واضطرت الى أن تستدين لكي تواجه الأعباء

المـالية . وتعرض موليير للسجن ثلاث مرات ، بنـاء على رغبة دائنيه ، لاذلاله والتشفي منه ، الى ان اضطر الأب الى تسديد ديون ابنه ٠

وبعد تجارب عديدة فى تاليف المشاهد الفنائية الحية، فى مقاطعـات الريف الفرنسى ، على شـاكلة الكوميـديا ديللارتى ، وهى طراز خاص من المسرح المرتجل ، بدا موليير فى سنة ١٦٥٥ أو قبلها بقليل ، وهو فى الثالثة والثلاثين ، كتابـة أولى كوميدياته الكبـيرة ، مستهلا بها مرحلة من التـاليف والاخـراج والتمثيـل اسـتغرقت ما يقـارب الـ ١٨ سنة ، وانتهت بنهاية حياته ، مغضوبا عليـه من الكنيسـة ٠

والكوميـديا ديللارتى تيـار فنى عظيم ، ازدهر فى ايطاليا فى القرن السادس عشر ، ثم فى فرنسا وأرجـاء اوربا ، وتاثر به ، غير موليير ، عدد كبير من كتاب وفنانى الكوميديا فى انحـاء العالم ، بما فيه مصر ٠

وهـذه الكوميديا تتميز بالبسـاطة وقوة التأثير وتعتمد ، فى تصوير الشخصيات النمطية ، على الارتجال، والتهريج ، والكاريكاتير ٠

ويعتبر معظم النقـــاد أن مسرحيـــات موليير : « المتحذلقات » ، « سجانارييل » ، « مدرسة الأزواج » ،

« تارتوف » ، « البخيل » ، « دون جوان » ، أهم مسرحيات موليير ، وأوفاها تمثيلا لخصائصه الفنية ، وروحه المرحة الساخرة ، وقدرته على تحليل الشخصيات ، وتحريكها عبر الكوميديا التي تتخللها نغمات المأساة ، والفكر الواعي ، والمعاني الانسانية ، والهدف الاخلاقي الذي ترمي اليه ، بوضع العيوب الخلقية والاجتماعية في دائرة الضوء .

« الانوار » ، بيروت ، ٥ فبراير ١٩٧٣ .

وردزورث

اكبر شعراء الحركة الرومانتيكية فى القرن التاسع عشر ، التى نشات مناهضة للثورة الصناعية ، ولعقلانية العصر ، وكلاسيكيته الأدبية ٠

ولد فى كمبرلاند سنة ١٧٧٠ ، وهى مقاطعة صناعية٠ وظل على صلة حميمة بالحياة الريفية فى بلاده ، التى عاش فيها مرحلة الطفولة ، لم تغب عن عينيه يوما ٠ وجاءت اشعاره الغنائية متاثرة بالطبيعة ، معبرة عن عواطفه واحاسيسه الفياضة نحوها ، على امتداد العمر ٠

اما حياته العامة فكانت مكرسة فترات طويلة للعمل السياسى المباشر ، من خلال كتابة المنشورات التى تدعو للنظام الجمهورى فى ظل سطوة الملكية الوطيدة ٠

وهـذا دليل على أن الحركة الرومانتيكيـة لم تكن ابتعادا أو هربا من الحيـاة ، وانما كانت اعلاء من قيمـة الفرد ، وفى مواجهـة كل الضغوط التى يتعرض لها ، من صخب المدن ، وضجيجها العالى ٠

تصدر اشعاره عن الخيال ، وتغتنى به ، باعتباره اقدر على النفاذ الى صميم الأشياء ، واستنشاف الحقيقة الكلية ـ لا الجزئيـة ـ فى الواقع المـائل ، أو ما وراء الواقـع ٠

لم يكن وردزورث يفرق بين لغة الشعر ولغة النثر الا من ناحية الوزن فقط ٠ لهـذا كانت لغته ، على جمالها ، قريبة التناول ، من تلك اللغـة الدارجة التى يستخدمها الناس ، بعد تصفيتها من الشوائب التى تحجب صفاءها ٠

كما لم يكن يرى فرقا بين الشاعر وسائر الناس ، الا فى دقة الحس ، وعمق البصيرة ٠ لذلك كان يتطلع الى أن تشارك الانسانية الشاعر فى انشاده ، اى فى مشاعره وتجاربه ، وهى فى حالة الاستثارة ٠

وخلافا للشعراء والأدباء الذين تروى القصص عن ثقافتهم ، وسعيهم نحو المعرفة ، لم يكن وردزورث قارئا نهما للتراث الانسانى ، ولم يكن يتحرج ، فى نفس الوقت ، من أن يقول فى مقدمة احد دواوينه ، عما يتضمنه كتـاب الشعر لأرسطو ، « بلغنى » أو « علمت » ٠

ولكنه ، بالمقابل ، عوض هـذا النقص بموهبة فذة . تستطيع ، على حد تعبيره ، أن ترى فى حبة الرمل عالمـا كاملا ، وأن تملأ قبضة يدها باللانهاية ، وتجمع الأبدية فى ساعة واحدة ٠

أصدر عدة دواوين . منها « المقدمة » وهى قصيدة طويلة يتحدث فيها عن سيرته ٠ واشترك مع كولردج فى ديوان « مقطوعات قصصية غنائية » الذى اتسـم ببساطة الموضوع والأسلوب ٠

فى سـنة ١٨٤٣ توج فى انجلترا أميرا للشـعراء ـ « شاعر بلاط الملك » ٠ وتوفى فى سنة ١٨٥٠ عن ثمـانين سـنة ٠

ومن اشـعاره :

قـوس قـزح

يقفز قلبى عندما أرى قوس قزح فى السماء : كما كان حين بدأت حياتى ، وكذلك الآن وأنا رجل ، وعندما أتقدم فى العمر ، أو أودع الحياة ٠ فالطفل أبو الرجل ، وأتمنى أن تصبح أيامى مرتبطة ، بعضها ببعض ، بعبـادة الطبيعـة ٠

« الأنوار » ، بيروت ، ٢٩ نوفمبر ١٩٨٤ ٠

كولـــــردج

منذ مائتى سنة ، وبالتحديد فى الواحد والعشرين من اكتوبـر ١٧٧٢ ، ولد تقسيس فى قريـة « انرى سنت ميرى » فى انجلترا طفـل موهوب ، هو صـمويل تيلور كولردج ، الذى قـدر لاسـمه فيما بعد أن يمـلأ أوروبا القريبـة .

وفى الخـامس والعشرين من يوليو ١٨٣٤ توفى عن اثنتين وسـتين سـنة . دون ان يتكافأ مداها وامكاناته الزاخرة مع حجم انتاجه ، لأنه لم يعرف الاستقرار ، لا فى حياته العامة ، او فى حياته الزوجية ، فضـلا عن انه قضى الجزء الاخير من عمره يعانى أهوال مرض كان يستعين على تحمل آلامه بتعاطى الأفيون كمسكن ، او قدح زناد الفكر المجرد ، وسبر أغوار الخواطر الذهنية المتصلة بلغز العالم وتناقضاته .

تنقسم حياة كولردج الأدبية الى ثلاث مراحل · ساد فى المرحلة الأولى ، والنفس بالغة الحساسية ، الشعر ، الذى انتهى على التقريب سنة ١٧٩٨ ، باصدار « **مقطوعات قصصية غنائية** » مشتركة مع الشاعر وردزورث ·

وفى هذه المرحلة قدم كولردج أعظم انتاجه الشعرى الذى وضع اسمه فى مصاف الشعراء الخالدين ·

ولعل قصيدة « **الملاح العتيق** » الكبيرة ، التى كتبت سنة ١٧٩٨ ، أو قبلها بقليل ، أن تكون أهم قصائده على مستوى الشعر الانجليزى ، وأكثرها تعبيرا عن خياله الخصب المتحرر ، واحساساته المؤثرة ، واحاطته الثاقبة بحقائق الطبيعة الانسانية ، والأحداث ، والوجود فى شكل موحدة يضم فى اهابه الكثرة ، ويبتعث فى النفس اللذة ، او على حد تعبيره « **الغبطة الروحية** » ·

ذلك أنه استطاع فى هذه القصيدة ، وفى معظم اشعاره ، أن يحيا فيما هو كلى ، يشمل العالم الخارجى ، لا ما هو فردى ذاتى ، وان كانت الذاتية عنده المنطلق الذى تنشأ منه كل المعانى الانسانية العامة ·

اما المرحلة الثانية فقد اتجه فيها بكل معارفه وخبراته ووعيه الى النقد الأدبى ، حتى اعلن فى سنة ١٨٠٣ انه أصبح يجد مشقة بالغة فى تأليف الشعر ، بعد أن هجره ·

ونقد كولردج نقد منهجى ، يخضع لرؤية متكاملة ، وفهم عميق لعملية الخلق الفنى ، تبرز المميزات الجوهرية

والعرضية للكاتب ، خاصـــة فى مجال الشعر الذى ينهض على الوحدة العضوية ، والتى افاد منها كل الذين حملوا على الشعر التقليدى فى شعرنا العربى المعاصر ٠

كما ينبيء نقـــد كولردج عن استبصار تام بالفروق الدقيقة بين الموقف الشعرى والحقيقة الشعرية ، وعنصر الخيال فى التجربة الفنية الذى يحطم لكى يبنى من الداخل٠

ونظرية كولردج فى الخيال كانت بمثابـــة منعطف جديد فى النقد الانجليزى الذى يرفع من قيمة العقل وحده٠

ومن يقرأ « **نقد كولردج لشيكسبير** » يلمس عمق ووضوح التناول ، وسلامة الذوق الخلقى ، وثراء الدلالة، والانطباعات النفسية الملهمة ، الى جانب الاهتمـــام بمعنى اللفظ والوزن والموسيقا والعاطفة والبناء التشكيلى النابع من نشاط الموهبة ٠

ولهذا يعد كولردج فى تاريخ النقد الانجليزى المعاصر كاحد المعالم القليلة البارزة ، منذ ارســطو فى القرن الرابع قبل الميلاد ، حتى ت٠س٠ اليوت فى القرن العشرين ٠

والطريف ان جزءا مهما من نقد كولردج كان عبارة عن سلسلة محـــاضرات عامة ، مرتجلة او مدونة ، فقـــد معظمها ، ولم يصلنا الا ما طبعـــه فى كتب مثل « **سـيرة ادبية** » ، وما نشره فى الصحف ، او خلفه من مذكرات ، قام بتدوينها ، او دونها من استمعوا الى محاضراته ٠

وتحت تأثير الآلام المبرحة للمرض ، وبعد رحلة الشعر والنقد ، غلبت التأملات العقلية والنفسية كولردج ، هذه التأملات التى نجد بذورها منبثة فى كتاباته النقدية • ومن ثم اتجه الى الفلسفة والميتافيزيقا والدين ، فى اتجاهات يسربلها الغموض • وقد كان يرى أن معرفة الله بروح الايمان المسيحى ، بالحدس ، هى المدخل الى أية معرفة اخرى •

ولا احد يستطيع ان ينكر ان كتاب كولردج « **عون على التأمل** » سنة ١٨٢٥ ، الذى اعلى فيه من قيمة الارادة والعاطفة ، شارك فى تطوير الفكر الانجليزى ، وأن جون ستيوارت مل كان محقا حين وصف كولردج بأنه « **كان الموقظ الاكبر لروح الفلسفة فى هذا البلد** » •

ويعد كولردج بدعوته لتحليل اللغة تحليلا فلسفيا واضع اساس الوضعية المنطقية التى حمل عبء الدعوة اليها فى مصر . وغيرها من البلاد العربية ، الدكتور زكى نجيب محمود ، نتيجة لما لاحظه من افراط فى استعمال اللفظ فى شتى المجالات •

ومثلما يرقى نقد كولردج الأدبى الى مستوى شعره المرموق ، كذلك لا تقل فلسفته فى الدين والسياسة والأخلاق عن نقده الأدبى أو شعره •

وللشاعر الانجليزى الخالد مذكراته المهمة التى دونها فى فترات مرضه المتقطع ، او فى الأوقات التى لا يستطيع ان ينجز فيها اى عمل •

.. تطرح هـذه المذكرات فيمـا تطرح مفهوم كولردج للخيال الأدبى ، باعتباره اهم عناصر الخلق الفنى ، مبينا الفرق بينه وبين التوهم ٠

فالخيال عند كولردج وليد العقل والادراك الشـامل للأشياء ٠ ولهذا يعتبر القوة الحيوية الخلاقـة التى تحقق الوحدة العضوية للعمل الفنى ، وتحفظ له توازنه الخاص، والا بدا كالشنات الذى لا يخضـع لأى منطق ٠

على حين ان التوهم لا يعدو أن يكون حالة من حالات التذكر ، التى لا تتقيد بزمان أو مكان ، ولا تلتزم الا بمجرد تداعى المعانى الحر ٠

ومذكرات كولردج لا تقتصر على الخيـال الأدبى ، بل انها تعرض أيضا المبادىء النقدية الجديدة التى نادى بها فى ضوء تجربته الشعرية الفذة ٠

وتمثـل هـذه المبـادىء نقلة كبيرة فى تاريخ النقد الانجليزى ، تتخطى مراحله الكلاسيكية ، التى تفصـل بين اللفظ والمعنى ، وتعتبر الوزن عنصرا شكليا بحتا ، لا عنصرا جوهريا فى صميم البناء الفنى ، يؤكد معانيه ، ويزيد من حيوية المشاعر ، وحساسية الانتباه التى تستثيرها وحدة الايقاع ، وتشابه عناصره ٠

« المساء » ، القاهرة ، ٢٦ مايو ١٩٨١ ٠

بودلـــــير

وافق التاسع من شهر ابريل الماضى ، ذكرى مرور ١٦٠ عاما على ميلاد الشاعر الفرنسى شارل بودلير (١٨٢١ ــ ١٨٦٧) .

وعلى الرغم مما تعرض له بودلير فى حياته من رفض الحركة الأدبية والمجتمع الفرنسى له ، الا ان الدراسات النقدية ، والرسائل العلمية التى عقدت بعد ذلك عن حياته وشعره ، تفوق فى حجمها كل ما كتب عن الشعراء التقليديين المعاصرين له ، الذين تمتعوا بتقدير الأوساط الفنية هاتيك الأيام .

ولعل اهم هذه الدراسات والرسائل ، فى المكتبة الفرنسية ، ما يتناول مفهوم الشر فى شعره ، وموقفه من المرأة والروح والايمان ، وما يتناول شخصيته السادية ،

التى تنعكس بوضوح فى شعره ، وخصائص عالمه الشعرى المتفرد ، والجماليات الفنية الجديدة ـ بمعنى الابتكار ـ فى استخداماته اللغوية ، التى كان على وعى بالغ بهـا ، كما كان على وعى بالغ بقيمة الملكات التى يدخرها ، والهدف النهـائى الذى يتطلع اليه فى تغنيه بالجمال البنسم ، طالمـا ان هـذا التغنى يقلل من قبح الكون ، ويخفف من عبء الزمـان ٠

وهذا الوعى يؤكد ان الشـعراء العظام ينطوون فى اعماقهم على نقاد عظـام ٠ يقطع بذلك دراسات بودلير بصفة خاصة عن ريتشارد فاجنر وفيكتور هوجو ، التى جعلت منه ناقدا ادبيا وفنيا ، يهتم بالفنون التشكيليـة وينقدها نقد المتخصصين ، فضـلا عن مذكراته الشخصية، ومقالاته المتنوعة التى جمعت فى مجلدين ، المجلد الأول يحمل عنوان « **طرائف جمالية** » ، والثانى « **الفن الرومانسى** » ٠

على ان الثورة اللغوية التى قادها بودلير ، ممثـلة فى جراته على استخدام الألفاظ والتعـابير الفظة المبتذلة ، التى تبدو متنافرة فى تراكيبها ، وما يحتشد فى شعره من صور مقززة ، كانت وجهـا من وجوه ثورته على التقاليد الاجتماعية الزائفة ، والمفاهيم الموروثة البالية ، وما تحفل به الحياة القائمة من بغض وظلم والم وحشى وحرمان وعناء ويأس ورعب و « **ظلما لا ينطفىء** » ٠

لهـذا كان بودلير يرى ان الشـاذ غير المتوقـع ، والناقص ، والمدهش ، والطارىء ، يمثل الجمال الحقيقى ، الكامن فى جوهر الأشياء ، ويعد عنوانه الصريح ٠

أما الجمال المـألوف ، المتفق عليه ، الذى لا يخرج عن القواعد ، فليس له شخصـية خاصـة ، وهو ، بهذا الاعتبار ، يثير السأم فى النفس ، ولا يعدو أن يكون عدما ، لأن شرط الحياة زال عنه ٠

ان الشعر لا يرصـد ويلاحظ القائم ، بل يصححه ، ويتفهم ما تهمس به الأشياء الخرسـاء ، ويلمس قـاع المجهول ٠ وحتى يتحقق ذلك ، لا مفر من استبعاد مفهوم الأخلاق ، كما طرحه الرومانسيون ، عن نطاق التشـعر ٠ ولابد من التضحية بالتفاصيل من أجل الاهتمام بالشكل العـام ٠

فى اطار هذا التصـور كان بودلير يدافع عن حب المرأة الحمقاء ، لأن الحمق يصـون الجمال ، ويضفى عليه الزينة الأخاذة ، كما يغلف الصفاء المستنقعات السوداء ٠

هذه هى رؤيته فى ديوان « **أزهـار الشر** » ، الذى صدر سنة ١٨٥٧ ، وبودلير فى نحو السادسة والثلاثين من عمره ، محققا له المجد الأدبى . رغم أن المحكمة التى مثل أمامها بتهمة الاساءة الى الأخلاق العامة والأخلاق الدينية

حكمت بتغريمه ثلاثمائة فرنك . وحذف ست قصائد من الديوان ، لم تنشر بعد ذلك الا سنة ١٩٤٩ .

ويلخص بودلير اتجاهه او تجربته الفنية فى احدى قصائده قائلا :

« انتم كونوا شاهدين انى قد اديت واجبى كالكيميائى المتمكن ، كالروح السامية ، قد استخرجت من كل الأشياء جوهرها . قد اعطيتنى وحلك ، وصنعت منه ذهبا » .

والتضاد او التعارض فى الوجود ، فى اعمال بودلير الشعرية ، ليس تعارض العناصر المتباعدة ، المنفصلة ، المستقلة بذاتها ، وانما هو تعارض العناصر المتداخلة فى البناء الواحد ، حيث تختلط العناصر ، دون ان تستطيع ان تتبين فيها الخير من الشر ، او الجميل من القبيح ، او البراءة من الاشتهاء .

وهذا يقتضى قراءة من نوع خاص لشعره ، لا نقف فيها عند سطح المعانى ، فنقابل ، مثلا ، بين الوحل والذهب ، او بين الأرض والسماء ، وانما يجب أن نتغلغل فى النص ، ونقرأ الذهب فى صميم الوحل ، والمضمون الروحى فى سعير الحس .

وبودلير ، بأسلوبه ومضمونه ، نسيج وحده فى الشعر

الفرنسى ، يجمع بين وضوح الكلاسيكية ، وغموض الرمزية، وثورة الوجدان الرومانسى ٠

ويرجع عدد من النقـاد الفرنسيين فـكر بودلير ، وتشتت حياته ، الى تمزقه بين الرغبات الحسية ، أو جحيم الخبرة والانفعال ، وبين الايمـان الروحي الكاثوليكى ، الذى كان يفجر فيه الحنين الحزين ٠ أى الصراع بين حمأة الأرض ، وجنة السماء ٠

أما عن الأوزان الشعرية فقد استخدم بودلير الأوزان البسيطة المكثفة ٠ وفى اخريات حياته كتب الشعر المنثور ٠

« الأنوار » ، بيروت ، ٢٧ يوليو ١٩٨١ ٠

دوســـتويفسكى

بدأت الأوساط الأدبية فى الاتحاد السوفيتى تحتف هذه الأيام بذكرى مرور مائة وخمسين سنة على مو الكاتب الروسى فيودور دوستويفسكى (١٨٢١ــ١٨٨١

والقراء العرب يعرفون دوستويفسكى جيدا ، من خا قصصه وروياته العديدة المترجمة ، والتى أعد بعض للسينما أو المسرح أو التليفزيون •

وعلى الرغم من الدراسات النقدية المتزايدة عن • الروائى ، فلا يزال تراثه الانسانى ، الذى يشغل الطبعات الروسية اثنى عشر مجلدا او أكثر ، أكبر وأع من كل ما كتب عنه • كذلك تظل شخصية دوستويفس الذى عاش حياة حافلة مضطربة ، أغنى من كل ما عنها من كتابات •

ذلك انه فى صباه مر بثلاثة أحداث كان لها تأثيرها العميق فى نفسه : وفاة أمه التى كانت قطعة نادرة من الحنان ، ووفاة شاعره الأثير بوشكين مقتولا . ثم مصرع أبيه ، الذى كان يكن له بغضا شديدا ، بيد الفلاحين فى الحقول ، انتقاما من سراشته وسوء معاملته لهم ، ثم انقلاب هذا البغض فى نفس الابن الى حب طاغ يؤنب ضميره ، ويمزق أعماقه .

أما السنوات التالية لتخرجه من مدرسة الهندسة سنة ١٨٤٢ ، فقد عانى فيها متسقات بالغة ، اذ خالط الطبقات الضائعة البائسة ، فى الأحياء القذرة المشبوهة ، والمليئة بالسكرى ، وعرف الجوع بسبب لعب القمار ، الذى أوقعه فى الاستدانة .

الا انه اكتسب وعيا بالغا بالمجتمع انعكس بشكل خلاق فى روايته الأولى « الفقراء » التى كتبت سنة ١٨٤٥ ، وتلقاها الشاعر نكراسوف والناقد بيلنسكى باعجاب شديد ، لاتجاهها المباشر الى الشعب الفقير ، من سكان الأقبية المعتمة ، ولعمق الأحاسيس الانسانية لشخصياتها القلقة المعذبة المظلومة التى تثير الشفقة .

ونكراسوف ، الشاعر والناشر ، عميد المثقفين الروس ، الذين حققوا مجدهم بارتباطه بالحياة والواقع ، ودفاعه عن العدل والتقدم .

أما بيلنسكى فهو كبير نقاد روسيا فى هـذا العصر ، صاحب الدراسات العميقة فى الأدب الروسى ، التى دافعت عن القومية دفاعها عن الانسانية ، والذى كان يملك فتح باب الشهرة للكتاب والشعراء فى بلاده ٠

ومع هذا هوجمت رواية دوستويفسكى الثانية «المثل» والثالثة « الجارة واقاصيص أخرى » من عامة الكتـاب والنقاد ، مما انذر بسقوط دوستويفسكى ، الذى تراكمت ديونه ، والم به المرض ، فهام على وجهه ، يعانى نوبات الصرع والتجهم ، مستشعرا الغربة والاهـوال الى حـد يقترب من الجنون ٠

فى هذه الأيام من سنة ١٨٤٩ اشتدت قبضة السلطة القيصرية على المجتمع الروسى ، وقبض على دوستويفسكى فى بيته بتهمة سياسـية ، هى المشاركة فى اجتماعات طائفة من المتمردين ٠ واقتيد الكاتب الخـالد الى المعتقل مكبلا بالاغلال مع العشرات ، وقضى ستة أشهر حكم عليه بعدها بأربع سنين اشغالا شاقة ، كانت رهيبة للغاية ، بحيث جعلته ، من بعد ، لا يهاب شيئا فى العالم ، لأنها قتلت فى نفسه ، وهو خارج المجتمع ، اشياء كثيرة ، لم يحددها ، وفتحتها على أشياء اخرى كثيرة ، تتصـل بالمشاعر الزاخرة داخله ، التى تكشف له الحياة ، حين كان بمنأى عنهـا ، وتحفظها بكل ايقاعها ٠

وتحت تاثير هذه المحنة غدت مشكلات الخير والشر والاثم والجريمة والحب والرغبة والالم والامل هموم دوستويفسكي الحزين ، التي يتأملها وينفذ الى أغوارها الميتافيزيقية ، داخل اطار المسيحية الأخلاقية ، التي عاد اليه الايمان بها ، اقوى ما يكون ٠

والحق أن دوستويفسكي لم ينل حريته التامة الا سنة ١٨٥٩ ، حين انتهى تجنيده الاجبارى فى الجيش بعد الاعتقال ، وسمح له أن يقيم فى العاصمة ، موسكو ، وينشر مؤلفاته التى كتب بعضها فى المعتقل ، وصوره فى بعضها بصيغة تهز الضمائر ٠ وقد نشرت معظم هذه الكتابات فى جريدتى : « الزمان » و « المواطن » ، اللتين حملتا دعوته الى خلق حياة جديدة ، تنبع من الأرض الروسية ، والروح الروسية ٠

تنهض هذه الدعوة السلافية على قيم غير القيم المبكرة التورية التى استهل بها حياته العملية ٠ وبعد زيارته لأوروبا الغربية ومشاهدته العالم المادى المليء بالتعاسة على الطبيعة ، الذى يضع دولة الرأسمالية على حافة المنحدر ، تضاعف ايمانه بدعوته ، وبالجانب الروحى على نحو خاص ٠

ولعل حبه المبكر غير المحدود لبوشكين ، الذى يتجسد فى اشعاره روح القومية الروسية ، كان بمثابة البذور

الأولى لهذا الانجاه الذى يعد صاحبه أول من دعـا الى البحث ، أيضا ، عن الينابيع الشعبية العريقـة للمسرح الروسى ، ومقاطعة الثقافة الغربية ٠

الم يكن دوستويفسكى يرى أن نقطة القوة فى العمل الفنى أن يصـدر فى مادته عن الريف الروسى ، ويرتبط بترابه ؟ !

ثم تتقلب حياة دوستويفسكى بعد ذلك بين اليسر والعوز ، تزوج خلالها اكثر من مرة ، وكتب كثيرا من الانتاج الدرامى الذى توغـل فى أحـراش المشـاكل والعواطف والانفعالات الانسانية ،وكان اروعه بلا جدال : « الجريمة والعقاب » و « الاخوة كارامازوف » و « بيت الموتى » ٠

غير انه فى سنواته الأخيرة عاش فى استقرار ودعة ، ونال مزيدا من الاعتراف بمكانته الأدبية ٠

« الأنوار » ، بيروت ، ٢٠ أكتوبر ١٩٧٢ ٠

رامبـــــو

عاش الشاعر الفرنسى جان أرثر رامبو ، بين ١٨٤٥ و ١٨٩١ ، حياة خاطفة ، مثل الشهاب ، ولكنهـا حافلة بالأحداث المرتبطة بالعصر ، مليئة بالمفاجئـات المثـيرة ، والتشرد والمغامرة ، نابضـة بالحقائق البشرية ، والتطلع الانسـانى نحو حيـاة أفضـل ، وان لم تكن واضحـة المعالم لصاحبها .

والموهبة التى تموت فى شبابهـا ، قبل أن تبلغ ، باكتمال دورتها ، قمة النضوج ، يقدر لها عادة أن تتجلى بكل عبقريتها فى سن مبكرة ، على غرار ما جرى لرامبو ، وتعطى أوفر عطائها خلال هـذا العمر القصير ، الذى لم ينقطع كله للانتاج الفنى ، ورغم هـذا يحقق لصاحبـه خلود الأثر .

ولم يكن عطاء رامبو القليل ـ سواء فى مرحلته الأولى الواضحة أو فى المرحلة الثانية الغامضة بعد سنة ١٨٧١ ـ يدور حول نفسه ، بل حول الطبيعة التى خرج اليها ، والحياة الروحية ، والسعادة الحسية ، والبشرية المتآخية ، والحرية المحمومة ، والحلم المنطلق فى الآفاق ، الذى يحطم الواقع فى طريقه ٠

ومع هذا فان حياته الغريبة ، وما لاقاه من خيبة أمل ، واحباطات أمه له ، ينعكس بالطبع على جزء كبير من انتاجه الشعرى ، ذى التأثير العميق فى النفس ، الذى يرجع نفاذه ، فى المحل الأول ، الى توفيق رامبو فى استخدام الأدوات الفنية البحتة بكفاءة بالغة ، ونجح فى النهاية فى تغيير ملامحه ، وتحويل مساره ٠

وتختلف هذه الأشعار التى تنبىء عن ادراك حاد لا زمنى للعالم عن الشعر الكلاسيكى الرصين ، الذى تمرد عليه رامبو ، وسخر منه فى عديد من قصائده ، ولعن أصحابه ، مقدما البديل فى هذه الرؤى الرمزية البعيدة ، وفى تلك الكشوفات اللغوية المبدعة ٠

أما مطالعاته فى التراث ، وما حصله من معارف متنوعة ، فقد طرحه جانبا ، ولم يتبن منه أية فكرة ، اذ كان قليل التأثر به ، لا يرى فائدة من تعلم اليونانية والتاريخ والجغرافيا ٠

على ان ثقافته المحدودة ، وخبراته بالحياة ، تحولت

بفضل موهبته الأصيلة ، الى ثمار خاصة مغايرة ، تصدر عن عالم الخيال ، الزاخر بالأسرار والألغاز والاضطرابات المشوشة ٠

ان هذه المنطقة الخيالية التي نهل منها رامبو اشعاره ، تتميز بالرحابة ، حيث يمتزج او يستوى الكل المختلف فى وحدة واحدة ، وتختلط عناصر العدم بالضياع بالحيرة بالأسى ، بشكل متنافر فى ظاهره منسجم فى داخله، يشى بالبلبلة الحادة التى يحدثها الشاعر فى حواسه وحوافزه ، لكى تجيش بأعلى درجة ممكنة ، عن طريق الانغماس التام فى التجارب الحسية او الوجدانية التى قد تقترب به من المس او الجنون ٠

الا انه بعبوره هذه الحالة من الرؤيا الملهمة (**بفتح الهاء**) للوجود ، يكون قد عثر فى المتاهة على لقيا باهرة ، تفضى الى المجهول الموحش المتعالى ، فيما وراء الواقع (**الميتافيزيقا**) حيث يسمع ما لم يسمع ، ويرى صورا مفككة متراكمة مزدهرة ، يفصح خلالها عن أشواقه الانسانية الكامنة ، التى لا تجد لها ريا ابدا ٠

هذه اللقيا هى التجربة الفنية الراقدة فى أعماق الشاعر ، ذات القوة المستوعبة لكل انفعالاته ومشاعره القاهرة ، القادرة على تفجير العالم فى صور ، تتمثل فى النهاية فى القصيدة التجريدية ، الشعرية أو النثرية ، على السواء ، التى يستطيع أن يعبر بها ، بارادته الحرة ،

وبالبداهة ، عما لا سبيل الى التعبير عنه ، حتى لو لم يفهم بنفسه رؤيته الا بالفعل أو السلوك أو جلاء البصر ٠

لا غرابة ان تكون اللغة التى يؤدى بها رامبو تجاربه لغة جديدة مبتكرة ، غير مألوفة ، غريبة فى علاقاتها ، وفعالة ، ومفاجئة ، من خلق يديه ، قد لا يتم بها المعنى الغائى ، وقد يقتصر على الجزء المفتت ، وقد يتجاور فيها الشاذ القبيح مع العادى البسيط الجميل ، أو تتناقض الكلمات مع دلالاتها المباشرة ، وقد ، وقد ٠٠ بحيث تنطوى على اعلى درجة من التنبيه ، التى تضاعفها قوة الانفعال الموسيقى الخفى ٠

وهذه ، بحد ذاتها ، سمة من سمات الخلق والابداع التى تحفظ اسم رامبو بين الفنانين الملهمين الخالدين ٠ وهى التى تاثر بها أكثر من شاعر كبير صهرهم العذاب واللعنة ، فى مقدمتهم صديقه الشاعر الحالم فرلين (١٨٤٤ ــ ١٨٩٦) الذى اطلق عليه الرصاص ، بسبب الحب الآثم الذى نشأ بينهما ، بعد أن ترك فولين زوجته، وصحب الشاعر الصغير فى باريس ، وبروكسل ، ولندن، مسلوب الارادة برامبو وموهبته ٠

« الثقافة الأسبوعية » ، القاهرة ، ٢٦ يناير ١٩٧٥ ٠

سينج

في سنة ١٩٧١ احتفلت الدوائر الثقافية في أنحاء العالم بالذكرى المئوية الأولى على ميلاد الكاتب الايرلندى جون ملنجتون سينج (١٨٧١ ـ ١٩٠٩) ٠

وفى الرابع والعشرين من شهر مارس الماضى ، تمر الذكرى الخامسة والسبعون على رحيله ، بعد حياة خاطفة ، لم تدم غير ٣٨ سنة ، ولكنها كانت حافلة بالابداع الأصيل المتميز ، النابع من أعماق البيئة المحلية فى ايرلنده ، والمعبر عن حياتها الخاصة الفريدة فى مرحلة اليقظة القومية ، والصراع من أجل التمرد والاستقلال ٠

وكان سينج قد تلقى تعليمه فى جامعة ترينتى بمدينة

دبلن عاصمة ايرلنده ، وهي المدينة التي ولد فيهـا ، ودفن في مقابرهـا ٠

وبعد تخرجه من الجامعة اتيح له أن يطوف اوروبا الغربية ٠ وفي فرنسا التقي سينج سنة ١٨٩٦ ، وهو بعد في الخامسة والعشرين ، في مستهل حياته الأدبية ، بمواطنه وليم بطلر ييتس ، رائد حركة الشعر الايرلندي ، فكان هذا اللقاء بمثابة منعطف كبير في حياته ٠

ذلك انه بتوجيه مباشر من ييتس غادر سينج فرنسا التي كاد يستقر فيها ، وينخرط في حياتها الصاخبة ، وعاد الى بلاده مبتعدا عن قيم الحضـارة الاوربية المـادية ، والمناقشات الفلسفية التي تعج بها باريس ٠

وعلى الساحل الغربي الايرلندي ، في جزائر الارن، اخذ سينج يعايش الحكايات والأساطير الشعبية ٠ كمـا اخذ يختبر الحياة ، ويقترب من الهموم اليومية ، والمشاكل الوطنية ، ويتذوق جمال لهجة الفلاحين والصيادين التي تنبض بالصدق والحرارة والمجاز ، ويستمع الى موسيقاهم البدائية ويتامل حياتهم المرتبطـة بالطبيعـة في روعتهـا وقسـوتها ٠

ولسينج ست مسرحيـات تلتقي في بعض دلالاتهـا بالمسرح الاغريقي ، وبمسرح لوركا ٠ قام ييتس بنشرها بعد وفاته بسنة واحدة ، وهي : « في ظلال الوادي » ١٩٠٣ ،

« الراكبون الى البحر » ١٩٠٤ ، « بئر القديسين » ١٩٠٥ ، « فتى الغرب اللعوب » ١٩٠٧ ، « عرس صانع التنك » ١٩٠٨ ، وآخر أعماله « ديدرى فتاة الأحزان » ١٩١٠ .

وتعد مسرحية « الراكبون الى البحر » من انضج أعماله ، واكثرها غنى بالدلالات الانسانية ، لأنها تجسد بلغة دمثة وبناء درامى مكثف ، رؤية سينج للحياة الصعبة التى تعيشها الأسرة الفقيرة فى ايرلنده ، على سواحل الجزر من أجل كسب القوت .

والمأساة الحقيقية فى هذه الحياة هى ترصد الموت الذى لا يخطىء فى كل لحظة ، يختطف الأبناء ، الواحد بعد الآخر . كما يسقط الليل حتما فى آخر النهار .

وبينما يترك الآباء الكبار للأبناء ، بعد رحيلهم ، الأشياء الخاصة بهم ، نجد الأبناء ، فى هذا العالم الرمادى الفاجع ، هم الذين يخلفون الأشياء لآبائهم المسنين ، كما يخلفون لهم الذكريات المرة .

ثم لا يجد هؤلاء الأبناء من يندب موتهم غرقى غير الجنيات السوداء التى تحلق فوق سطح البحر .

وبهذا التناول المؤثر الأصيل لحياة الايرلنديين فى وطنه ، وضع سينج البذور الأولى لنشأة الأدب القومى

الحديث فى بلاده ، فى مجال المسرح ، بما قدمه من أعمال تنبض بالروح الشاعرية الاســيانة ، وبما تحفل به من شخصيات ذات مسحــة أسطورية ، من نسيج أســاطير الشعب القديمة ، تعيش حياتها المريرة الى ان تنتهى الى الموت ، بــكل حدتــه وقســــوته ، كقـــدر لاراد له ، ولا مهرب منه .

« الاذاعة والتليفزيون » ، القاهرة ، ٧ ابريل ١٩٨٤ .

محمـــد اقبـــال

توافق السنة القادمة الذكرى المئوية على مولد الشاعر والفيلسوف الهندى الباكستانى محمد اقبال (٢٢ فبراير ١٨٧٣ ــ ٢٠ أبريل ١٩٣٨) ، الذى ذاعت فى ارجاء العالم اشعاره وفلسفته المكتوبة باللغات الاردية ، والفارسية ، والانجليزية •

والاحتفال باقبال احتفال باحد نوابغ الشرق القلائل، الذين خلفوا تراثا روحيا عظيما ، يمكن أن يضيء لنا بعض جوانب طريقنا المضطرب ، بما وعى من معرفة ، وبما صاغ من فكر للأمة الاسلامية والحياة ، تخطى بها حدود الأوطان والأزمـان •

ذلك انه كان ، مثل الفيلسوف الفرنسى رينان ، يعتبر ان الشاعر الموحدة التى تجمع الجماعات ــ لا الجنس

او الدين او الطبيعة التى يوجد فيهـا الفرد اتفاقا ـ هى التى تصنع الأمم ٠

درس اقبال فى جامعة كامبريدج بانجلترا ، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة ميونخ بالمـانيا ٠ وخلال هـذه السنوات الثـلاث التى عاشـها تحت سماء الغرب ، من ١٩٠٥ ـ ١٩٠٨ ، اتسع عقله من دروس حكماء «الفرنج» التى حذقها ، و « **اثارت صحبة اصحاب البصائر قلبى** » ـ على حد تعبيره ٠ ولعله يقصد فى مقدمة اولئك برجسون، الذى التقى به فى باريس أكثر من مرة ، وناقشـه فى مشكلة الزمن ٠

وهنرى برجسون (١٨٥٩ ـ ١٩٤١) فيلسـوف جمع فى بداية حياته الفلسفية بين العلم والفن ، بين عقل المفكر وروح الشاعر ، ثم لم يلبث ان طغى الجانب الروحى على ما عداه ، وغلبت فى فكره المثالية على المـادية ٠

واثناء ملامسة اقبال لموقف المجتمعـات الأوربيـة من الحياة ، ونوعية اتصالها بها ، أدرك العوائق ، المتمثلة فى الفلسفة المـادية ، التى تحول بينها وبين الرقى ، كما أدرك ما تلقاه الفكر الأوربى من الحضـارة العربية ومن ثقافة الاسلام ٠

ولهذا لا يجد اقبال حرجا فى انتفاع الفكر الاسلامى

المعاصر بالثقافة الغربية الحديثة بصفتها معرفة انسانية متطورة ، تثرى المأثور الفلسفى فى الشرق ٠

والشرقى المسلم ، عند اقبال ، مزود فى جوانيته « **بالمبادىء الفكرية العليا التى أتى بها الوحى . المنبعث نطقه من أعماق أعماق الحياة** » ، كما ذكر فى كتابه المهم « **تجديد الفكر الدينى فى الاسلام** » ، ويقصد بالتجديد اعادة بناء او اعادة تركيب هذا الفكر ٠

وبهذا الفهم يختلف اقبال عن المتصوفة الذين يفنون ذواتهم فى ذات الله ، ما عدا الحلاج ٠

انه ، على العكس من عامة المتصوفة ، يدعو الى تقوية الذات ، وتحقيق انفرادها ورقيها واستنباط كل ما فى فطرتها ، حتى تستطيع أن تضطلع بالعمل الصالح المثمر ٠

الا انه لكى تعطى هذه الذات نغماتها الخاصة ، وتتفتق عن كل طاقاتها الكامنة ، لابد اولا أن تتخلى عن نغمات الغير المكتسبة ، وتظل فى حالة من التوتر التى تحفظ للذات أو للشخصية دوامها ٠ وبذلك تتهيأ لادراك مقاصد الحياة واسرارها الخفية ، ومن ثم يتسنى لها تسخر العالم ٠

لا غرابة أن يعد اقبال ، بنظرته العصرية الأصيلة ،

بايمانه ان الحيـاة تكمن فى الحركة ، والممات فى الجمود ، رائد الفكر الاسلامى الحر فى القرن العشرين ٠

ولم تكن اهتماما اقبال تنحصر فى الآفـاق الدينية وحدها ، التى حلم بأن يحقق بها العصر الذهبى للاسـلام والمسلمين ، بل كانت تتسع عبر اشعاره خاصـة ، التى تتراوح بين الأسـلوب التعليمى والقصصى والوصفى ، وتشمل اهم القضايا السياسية والأخلاقية التى يجابهها العالم ، فضلا عن حكمه البليغة ، التى تصـدر عن روح عذبة وتجربة حياتية خصـبة ، كانت قادرة على اشـعال النفوس ، بالنسبة لمسلمى الهند ، ضد السلطة الانجليزية، ودفعها الى التمرد ٠

ويذكر الذين عرفوا وعايشوا محمد اقبال انه كان فى حزن دائم ٠ ولهذا الحزن اسـباب عديدة ، يمـكن أن نلمسها فى فلسفته كما نلمسها فى اشعاره ، وكلتاهما تسعى الى النهوض والارتقاء بالانسان ، من خلال الفهم الصحيح المستقل للعقيدة الاسلامية ٠ وقد كان اقبال ، بما طرح من أفكار تدعو الى العمل . حلقة حية ، ورسالة ملتزمة ، احاطت بأعظم ذخائر المـاضى ، من أجل الحاضر والمستقبل٠

« الأنوار » ، بيروت ، ٢٢ سبتمبر ١٩٧٢ ٠

كافـــــكا

تصدر قريبا فى القاهرة ، لأول مرة باللغة العربية ، مجموعة الرسـائل العاطفية التى كتبها الأديب الألمـانى فرانز كافكا فى بدايـة العشرينـات من هـذا القرن الى الصحفيـة التشيكية ميلينا بيزينسكا ، محررة صفحـة المرأة ، التى ترجمت اعمـال كافـكا المبـكرة من اللغـة الالمـانية الى اللغة التشيكية ، بكفاءة رائعة أثارت دهشة كافكا نفسه ، كما جاء صراحة فى احدى هذه الرسائل .

ترجم الرسائل ، وكتب لها المقدمة ، ووضع بعض الرسوم للشخصيات الواردة بها ، الأديب المصرى الدسوقى فهمى ، الذى سبق وترجم بعض اعمال كافكا فى القصـة والرواية ، وصدرت فى اكثر من كتاب .

والكاتب الألمـانى فرانز كافكا (١٨٨٣ ــ ١٩٢٤) كاتب منفرد فى تاريخ الأدب ، ورمز من رموز العصر ، يعد

من الكتـــاب العـالميين القـلائل الذين كان لهم تاثيرهم الملحوظ في اكثر من جيل من كتاب اوربا المحدثين ، في لغاتهم المختلفة ، وفي بعض الكتاب انعرب من اصحـاب الاتجاهات الطليعية ، بما قدمه من ادب قـاتم متشائم ، يتنـاول المـأساة الروحية للانســان الطـارد ، ويمضي بالقارىء في الممرات الارضية المظلمة ، وبما نثره من بذور فكرية ، انتفعت بها الفلسفة الوجودية بشكل خـاص ، في تعبيرها عن قلق الانسان ، وغربته ، ويأسه .

وللدكتور طه حسين الفضل الأول في التعريف بهذا الكاتب حين كتب عنه في « **الكاتب المصري** »(١) . ولاتزال مقالة طه حسين التي كتبها عن كافكا في الأربعينات افضل ما كتب عنه في الثقافة العربية .

ولأن كافكا لم يكن بوسعه أن يحقق طموحه الفني بالأساليب التقليدية التي استنفدتها الرواية حتى في القرن التاسع عشر ، فقد اتجه الى الأسلوب الرمزي الغامض ، متاثرا فيه بمزاجه الخاص ، ومطالعاته في التراث الديني للبهودية ، الذي افضى به الى جحد دين الآباء ، نتيجـة ما رأى من ممارسات بالغة السوء .

أما موضوعه فيتناول ، في مراحـله الأولى ، حـيرة الانسان ازاء الحياة المختلطة ، في بعدها الزمني والأبدي .

وتلخص احـدى قصص فرانز كافكا ، وعنوانهـا

---

(١) عدد مارس ١٩٤٧ .

« **أمام القانون** » ، هذه الحيرة الانسانية اللاعجة ، ولا تزيد أحداثها على ان رجلا ريفيا يقف سنوات طويلة أمام باب القانون ، دون ان يسمح له الحارس بالدخول ، ومع ان الرجل الريفى يشيخ من الانتظار ، ثم يعود القهقرى ويصبح الشيخ طفلا ، ويموت فى النهاية ، الا انه ، حتى آخر لحظة من حياته ، لم يفقد الأمل فى الدخول من الباب المغلق ، كما لم يفقد كافكا نفسه هذا الأمل ، وتحطيم التقاليد البيروقراطية التى تمنع اقتحام هذا المكان ، وذلك طلبا للمعرفة العصية المنال ، التى بدا له شعاعها بريقا لا يخبو .

وتتناول رسائل كافكا علاقة الحب التى تبادلها فى سن الثامنة والثلاثين مع ميلينا ، اى قبل وفاة كافكا بسنة سنين فقط ، فى سن الواحدة والأربعين ، بذات الرئة .

على أن هذه العلاقة كانت ـ على حد تعبير كافكا ـ تمزقا مشتركا للنفس ، او عربدة المياس ، لأن ميلينا كانت متزوجة ، وهى غير الفتاة الأولى التى خطبها . كما كان فارق السن بين كافكا وميلينا كبيرا ، اذ انها كانت قد تجاوزت العشرين بقليل ، بينما كان كافكا يقترب من الأربعين .

وتعبر الرسائل بجلاء ، كما تعبر اليوميات التى كتبها ولم تنشر الا بعد وفاته ، عن مزاج كافكا السوداوى ، وكيف انه يعانى الأرق والقلق بالاكتئاب والحزن ، كما تعبر الرسائل عن شعوره العميق بالغربة ، فى الدنيا

الفادرة ، التي تنقل في شعابها من مدينة براج الى المانيا، وسويسرا ، وايطاليا ، وفرنسا ، وعن تمسكه بالفردية في مجتمع يرفضها ، بالاضافة الى ما تزخر به الرسائل من عواطف انسانية مرهفة بين كافكا وميلينا ، التي توصف بانها ذكية وطائشة ، تجمع بين البرود وتأجج العواطف ، او بين القدرة على ضبط النفس ، وثورات الغضب .

كما تتعرض الرسائل ـ الى جانب الأخبار الشخصية الملبثة بالشعر ـ لبعض قضايا الأدب والصحافة والحياة ، من الوجهة الذاتية البحتة ، التي تلقي اضواء على أدب كافكا ، وترتفع بالرسائل الى مستوى الاعترافات الصريحة المعقدة ، التي لا تجرؤ على كتابتها الا عبقرية فذة من طراز كافكا الذي لا ينحرج عن ذكر كل ما يعتريه من مشاعر وافكار ، على نحو ما امتاز أدبه كله بالصدق الذي يبدو كانه كان يكتبه لنفسه .

ومع ان هذه الرسائل كانت ، بمعنى من المعاني ، عوضا عن لقاء كافكا بميلينا ، الا انه كان في الحقيقة يعتبر ، بنص القول : « **ان كتابة الرسائل معناها ان يتمرد المرء امام الاشباح . وهو ما تنتظره تلك الاشباح في شراهة ، ولا تبلغ القبلات المكتوبة غايتها ، ذلك ان الأشباح تشربها في الطريق** » .

« الصياد » ، بيروت ، ٢ فبراير ١٩٧٩ .

لـــويس ماســـينيون

احتفلت جامعة القاهرة ، بالاشتراك مع مجمع اللغـة العربية والسفارة الفرنسية ، بالذكرى المئوية الأولى لميلاد الأستاذ لويس ماسينيون •

وعلى مدى ثلاث جلسات متتالية ، فى الحـادى عشر والثانى عشر من أكتوبر ، ألقى عدد من الباحثين المصريين والعرب والمستشرقين أضـواء ساطعة على حياة المستشرق الفرنسى ماسينيون ، وعلى مؤلفاته ، ومنهجه •

ولأنه من الصعب ، فى هـذا الحيز الصغير ، عرض او تلخيص الأبحاث التى تؤلف مجلدا كبيرا ، فانى اكتفى بالاشارة الى شجاعة ماسينيون الفكرية والروحيـة التى استطاعت أن تصحح الفكرة السائدة عن المتصوف الاسلامى الحلاج ، وتكشف عن وجهه الاجتماعى والسياسى المتألق .

الذى تفاعل مع الواقع ، فى مطالبته بالعدل ، متجاوزا عالمه الفردى الى عالم الفقراء الخارجى ، بأكثر مما تتحمل السلطة ، التى لفقت له تهمة الكفر ، لكى تحكم عليه بالاعدام ، وتتخلص من متاعبه ٠

ولهذا ظل الحلاج محتجبا فى التاريخ ، يقف فى الظل ، لا يراه أحد ، ولا يقترب منه أحد ، الى أن جاء ماسينيون ووضعه فى مكانه الصحيح كصاحب عقيدة يستشهد من اجلها ٠

وعلى الرغم من أن أبحاث ماسينيون ضربت بسهم وافر فى التصوف الاسلامى ، وفى الفرق الدينية المختلفة ، مثل الشيعة والقرامطة والاسماعيلية ، الا انه اختص الحلاج باهتمام كبير ، منذ وقف على قبره المهمل فى بغداد ، وشعر بنور يجتاح كيانه ، فنشر سنة ١٩٠٩ كتابه الوحيد « الطواسين » ٠٠ كما نشر سنة ١٩٣١ « ديوان الحلاج » ، وترجمه الى الفرنسية ، واشترك مع بول كراوس سنة ١٩٣٦ فى نشر كتاب « اخبار الحلاج » ٠

وترجع قيمة هذه الجهود العلمية التى قدمها ماسينيون الى سلامة المنهج الاجتماعى الذى تحرك فى اطاره ٠

وبينما يرى اكثر الباحثين فى التصوف الاسلامى ملامح أجنبية واضحة ، وافدة من الخارج ، نجد ماسينيون يؤكد ان اصوله نابعة من صميم الاسلام نفسه ٠

ولم يكن ماسينيون يعتمد ، فى منهجه العلمى الدقيق، على الفروض النظرية ، التى لا تحفل بما يؤيدها من روايات ، وانما كان يعتمد ، فى المحل الأول ، على النصوص الموثقة ، التى تجعل النتائج التى يتوصل اليها لا تقبل الشك أو الجدل ، الا اذا ظهرت وثائق أخرى تختلف عما اعتمد عليه ٠

ولعل اهم ما قدمه ماسينيون ـ الى جانب دراساته الواعية للتصوف الاسلامى ـ محاضراته المنهجية فى تاريخ المصطلحات الفلسفية العربية . التى القاها باللغة العربية فى الجامعة المصرية القديمة سنة ١٩١٢ ـ ١٩١٣ ، ويقوم المعهد الفرنسى بالقاهرة ، هذه الأيام ، بطبعها فى كتاب ، تتولى تقديمه وتحقيقه الدكتورة زينب الخضيرى ٠

ذلك انه بدون تحديد المصطلحات نفقد المعرفة قوامها وتتحول الى شتات ٠

ودراسة ماسينيون للمصطلحات العربية ، لا تنحصر فى التراث العربى وحده ، ولكنها تتسع دائما لتبدأ بدراستها فى اصولها اليونانية ، أولا ، ثم تنتقل بعد ذلك الى المرحلة الزمنية التى يتناولها ، مع تقديم عرض وافٍ للمدارس المتعددة التى استخدمت هذه المصطلحات ، وكثيرا ما كان ماسينيون يتابع دراسته لتطور هذه

المصطلحات حتى ايامه المعاصرة ، حتى تصبح معرفة الماضى موصولة بالحاضر ، وتتكامل الرؤية ٠

ولد لويس ماسينيون سنة ١٨٨٣ ، وتوفى سنة ١٩٦٢ عن ٧٩ سنة ، قضى شطرا كبيرا منها فى وطننا العربى ما بين العراق ومصر ، باحثا ودارسا ومعلما فى التراث الروحى للاسلام ، يتكلم ويحاضر فى الجامعة المصرية القديمة باللغة العربية ٠ كما عين عضوا بمعهد الآثار الفرنسى بالقاهرة فى ١٩٠٦ ، واختير ايضا منذ ١٩٣٢ حتى وفاته عضوا عاملا فى مجمع اللغة العربية ٠

اما الشطر الباقى من هذا العمر المديد فقد قضاه فى الكوليج دى فرانس ، حيث ظل اكثر من ثلاثة عقود كاملة يحاضر عن علم الاجتماع الاسلامى ، ويكتب ابحاثه بعدت لغات ٠

ومن خلال علم الاجتماع الاسلامى تطرق ماسينيون، بمنهج تاريخى وتحليلى ومقارن دقيق ، الى دراسة كثير من الظواهر والمشاكل والمذاهب الاجتماعية فى الاسلام ، قديما وحديثا ، فضلا عن ابحاثه فى الفلسفة والعلوم ، واللغة العربية ، والنحو ، والخط ٠

« الاذاعة والتليفزيون » ، القاهرة ، ٢٩ اكتوبر ١٩٨٣ ٠

فرنسوا موريـاك

وافقت الأيام الماضية ذكرى مولد ووفاة الكاتب الفرنسي فرنسوا موریاك (١٨٨٥ ــ ١٩٧٠) ، الحائز على جائزة نوبل للآداب ، والذى ترجمت قصصه وروایاته الى معظم لغات العالم •

وليس فى حياة موریاك ما يثير أو يلفت الانتباه • ولد فى مدينة بوردو ، التى دارت فى أجوائها احداث كثير من انتاجه ، وتوفى ابوه قبل ان يبلغ السنتين ، فرعته امه برفق وحزم ، وربته تربية دينية ، تجنح الى الحزن والتشاؤم ، انعكست اصداؤها الىآخر العمر على كتاباته، التى تعتمد غالبا على ((تذكر اشياء مضت)) ، يعيد الكاتب اكتشافها ، ترجع دائما الى طفولته ومراهقته ويفاعته ، لكنها تظل مختفية فى اهاب الخلق ، والعاطفة الجارفة •

وبعد ان حصل على ليسانس الآداب من جامعة بوردو سنة ١٩٠٦ ، اشتغل بالتدريس فترة قصيرة فى باريس ، ثم تفرغ بعدها للانتاج الأدبى المتصل الذى بدأه بالشعر فى سن مبكرة . اذ صدر له سنة ١٩٠٩ ديوان « **الأيدى المعقودة** » . الذى اتسم بالاتزان والحكمة ٠

كما انه اتجه فى الثلاثينات الى المسرح ، وكتب عدة مسرحيات ، اهمها « **اسمودى** » . و « **المحبوبون الاشرار** »٠

ولمورياك كتابات تعبر عن فهمه الدقيق لكل من القصة والمسرحية ٠ فالقصة ذات حيز فسيح ، يتيح لكاتبها ان يمضى بحرية فى نسج الخيوط كما يشاء ، بينما تتطلب المسرحية تركيزا بالغا لم يتمكن مورياك معه من أن يضرب فيه بسهم وافر ٠

وعلى الرغم من انه مارس ايضا النقد الأدبى وكتابة المذكرات والسير . وله مواقف سياسية مشهودة ، واكب فيها الحركات التقدمية ، الا ان شهرته الحقيقية تقوم على الرواية ، ويعتبر من ألمع كتابها فى هذا القرن ، واكبرهم قدرة على تصوير عزلة الانسان المحتومة ، والحواس البشرية الشرهة ، واستجابات الجسد للشهوات بالتهالك على المتع ، ويقظة اللاشعور ، والشر ٠

كتب مورياك روايته الأولى « **الطفل المكبل** » سنة ١٩١٣ ٠ ويكاد موضوع هذه الرواية يكون قاسما مشتركا فى انتاجه التالى ٠ انه القلق والانقسام على الذات

بين العالم المادى والعالم الروحى • وفى رواياته : « **الرداء الأبيض المطرز بالارجوان** » ١٩١٤ ، « **اللحم والدم** » ١٩٢٠ ، « **البصائر** » ١٩٢٠ ، « **قبلة للابرص** » ١٩٢٢، « **تشترکس** » ١٩٢٣ ، « **صحراء الحب** » ١٩٢٥ ، تتسع أبعاد هذه الرؤية ، وتزداد غنى خلال العلاقات الانسانية المؤلمة ، التى قد ينسلط فيها البعض على البعض الآخر ، وهم يعانون الحاح الغرائز وتناقض الرغبات والعذاب الفردى الموحش ، بعيدا عن الله ورحمته بالخاطئين ، حيث لا يتم خلاصهم الا اذا استطاعوا أن يتجردوا من الشهوات، ويترفعوا عن العالم •

ولو أن مورياك يرى استحالة تحقيق التوازن بين الجسد والروح ، لمن يعيش فى قلب الحياة ، مهما استحوذت عليه دواما الخلاص • وكثيرا ما يحفظ شخصياته دون أن يتطور بها أدنى تطور •

وينبلور هذا الحس الدينى الأصيل ، بكل ايقاعاته الميتافيزيقية ، فى كتابه « **حياة المسيح** » الصادر فى١٩٣٦ •

ولاهتمام مورياك بالشخصية الفردية ، يطلقها من عقالها عبر المونولوج الداخلى الذى تتبدى فيه الشخصيات المنغلقة على ذاتها ، المحاطة باللامبالاة والجدب ، عاجزة تماما عن الاتصال بغيرها من الشخصيات ، مثل الكواكب والأفلاك الدائرة ، التى لا تتلاقى أبدا •

لكأن هناك جدارا شاهقا يحنجز الفرد عن الفرد ،

ويجعله لا يسرف بالضبط ما يريد ، مما يباعد دائما بينه وبين ما يطلب ، حتى لو كان بين الأب والابن ·

الا أن مورياك لا يعفي الفرد من المسئولية · يقول في هذا الصدد : « **يجب الا نقبل انفسنا ببساطة ، بل نخلق انفسنا** » ·

ويتفق معظم الذين كتبوا عن مورياك على أن رواية « **عقدة الأفاعي** » ، التي ترجمها الى العربية نزيه الحكيم سنة ١٩٤٧ ، خير انتاجه كله ، واكثره تعبيرا عن فكره وفنـــه ·

في هذه الرواية نعايش أبا وزوجا عجوزا حقودا عاش وحـــده يبغض كل شيء ، تملأ الضغينة قلبـــه ، وها هو يكتب ، في عيد ميلاده الثامن والستين ، الاتهامات لأسرته، موجها الحديث الى زوجته التي كانت تتجنب حديثـــه معها ، مسترجعا كل جزئيات حياته الكامدة المنصرمة منذ الطفولة ·

ومع أن مورياك جاء ووراءه تراث فني طويل في الماضي والحاضر ، الا انه من الصعب العثور على انسابه الفكرية والفنية ، أو الآصرة بينه وبين ســائر الكتاب ، لأنه ، في خلق أعماله ، لا يعتمد على أحد غير نفسه ، بل يتركهـــا على سجيتها الكاملة تخضـــع لمزاجـــه الفني الأصـــيل ، وتلقائيته الخاصة التي تنساق بها الموهبة ·

« الآداب » ، بيروت ، ٢٤ اكتوبر ١٩٧٢ ·

ايفـــو أندرفـــتش

يعد ايفو اندروفتش اعظم كتاب يوغوسلافيا فى العصر الحديث • ولد سنة ١٨٩٢ ، وتوفى سنة ١٩٧٥ ، بعد ان ظل سنوات طويلة يعـانى من مرض الكآبة ، بسبب وفـاة زوجته ، ويتنقل بين مصحات بلاده •

زار القـاهرة سنة ١٩٦٢ ، والتقى فيهـا بعدد من الكتاب المصريين ، من بينهم طه حسين • وفى الأحاديث التى عقدت معه بعد ذلك ذكر ايفو اندروفتش اسم طه حسـين كاديب عربى كبير ، يستحق كل تقدير ، وتمنى لو استطاع أن يتعلم اللغة العربية ، ويزور لبنان وسـوريا والأردن والعـراق •

وخلال زيارته لطه حسين فى فيلا « رامتان » بالهرم، اقضى له عميد الأدب العربى بانه يعد كتابا من ثلاثة اجزاء

عنوانه « **المتعطشون الى العدالة** » ، عن أول ثورة قامت في الجزيرة العربية سنة ٣٦ هجرية . للمطالبة بالعدالة الاجتماعية ، وقد انتهى من كتابة الجزءين الأولين من هذا الكتاب المخطوط . وتمت ترجمتهما الى اللغة الفرنسية ·

وفي ١٩٦١ حصل ايفو اندرفتش على جائزة نوبل للآداب عن روايته الرائعة « **جسر على نهر الدرينا** » ، التي ترجمها الدكتور سامي الدروبي الى اللغة العربية ، وصدرت عن « دار الهلال » في جزءين ·

واندرفتش بدأ حياته الأدبية بكتابة الشعر لأكثر من عشر سنين متصلة ، امتدت من سن الثالثة او الرابعة عشرة الى السابعة والعشرين ، حين صدر له ، سنة ١٩١٩، ديوان « **قلق** » ، وهو عبارة عن نثر غنائي ·

الا انه لم يلبث ان هجر الشعر كلية ، واتجه الى كتابة القصة والرواية ، انبثاقا في البداية من تصوره الخيالي لما يختفي وراء اغلفة كتبها ، التي كان يعجز عن اقتنائها ، ولا يملك الا ان يقف أمام واجهات المكتبات في مدينته الصغيرة ، سيراجو ، ينظر اليها ويحلم بالعوالم التي تنطوي عليها ، كأبراج بعيدة المنال ، تمثل ، على حد تعبيره ، بهاء الكون ·

وعلى الرغم من أن اندروفتش اتجه الى القصة والرواية ، فلم تفارقه لوهلة واحدة روح الشاعر الملحمي ،

الذى يجتاب أحداث التاريخ ، فى أزمانه المترامية . وبكل ما يحفل به من أساطير ، لكى يعمق رؤيته للحياة والانسان ٠

وثقافة اندرفتش ثقافة عريضة ، تضرب فى الحضارات المختلفة ، بالاضافة الى تجربته العملية الخصبة كعضو عامل فى كثير من منظمات المقاومة والتحرير والثورة ، التى أدت به الى السجون ، ولكنها أشعلت فيه الوعى بالفروق الحادة بين الذين يملكون ، والذين لا يملكون ٠

قرأ للكتاب والروائيين العالميين فى الآداب المختلفة ، وبلغاتهم الأصلية التى يجيدها ، وهى : الألمانية ، الروسية ، الايطالية ، الفرنسية ، الانجليزية ، الى جانب لغته القومية بالطبع ، بلهجاتها المتعددة التى افتتن بها ، على نحو ما افتتن بتقاليد وعادات اهلها ، وبخاصة فى موطنه الأصلى ٠

ولكنه لم يتأثر فى شبابه الا بالكتاب الروس : تولستوى ، جوركى ، تشيكوف ، وبالكاتب الألمانى توماس مان ٠

أما مفهومه للابداع ، ففى رأيه أن قيمة العمل الأدبى تتوقف على جوهره ، ويعنى به مادته ومضمونه ، وليس على شكله أو بنائه الفنى ٠

وارجو الا يفهم هذا الموقف على أنه مناقض للجمال ، وانما على أنه مناقض ، وحسب ، للزخرفة الخارجية المصطنعة ، التى تفتقد الغاية أو المبرر الفنى ، وعلى أنها اعلاء للعناصر الأولية الخالدة الكامنة فى الأشياء الحقيقية، كما تكمن الكلمات فى الصمت ، او اللمسات فى السر المجهول ٠

وشخصيات أندرفتش شخصيات ايجابية مكافحة ، تقوم بغريزتها الفطرية بانجازات ضخمة ، لا تقل عن انجازات الطبيعة نفسها ٠

كما تتمتع هذه الشخصيات بالفهم العميق للواقع الذى تعيش فيه ، والارتباط الحميم بالأرض التى تنتمى اليها ٠

ولا يقتصر مجال ابداع ايفو اندرفتش على الحياة الواقعية فى الزمان والمكان ، بكل ما تزخر به من أحداث ، على نحو ما نجد فى روايته الشهيرة« **جسر على نهر درينا** » بل انه فى رواية « **الآنسة** » يتوغل ، بنفس القدرة الفنية ، فى احراش النفس ، ويتعمق المشاعر والخلجات الأنثوية الدقيقة ٠

واعمال ايفو اندرفتش تتميز بالحس الشاعرى ، وبالرؤية الانسانية المرهفة ، والتعاطف الحميم مع البسطاء الذين لا يملكون شيئا فى كفاحهم الذى لا يهن أبدا ،

على مدى التاريخ ، ضد القوى المناهضة ، المضـــادة للتقدم الحضارى ، وخير الانسان ، التى تهدم ما تصل اليه يدها .

ومع هـــذا ، وعلى الرغم من ادراك ايفو أندرفتش لحجم الشر فى العـــالم ، الا أنه لم يشك مطلقا فى أن المحنة ستزول فى يوم من الأيام . ولم يفقد تفاؤله أبدا بأن تكون الأرض أجمل ، وحياة الانسان أفضل وأسهل .

« الانوار » ، بيروت ، ٢٧ أكتوبر ١٩٨٠ .

مایاکوفســـکی

احتفلت الأوساط الأدبية فى الاتحاد السوفيتى وانحاء العـــالم ، فى شـــهر يوليو المـاضى ، بذكـرى مرور تسعين سنة على ميـلاد الشاعر فلاديمير مایاكوفســكى (١٨٩٣ ــ ١٩٣٠) ٠

ومایاكوفسكى ألمع شعراء الثورة الروسية ٠ كانت أشعاره المبكرة ارهاصا بهذه الثورة ، وعندما انفجرت فى أكتوبـر ١٩١٧ تغنى بهـا وباهدافهـــا ، باعتبارهـــا ثورتـه ، التى تمثـلت فى اقـامة مجتمـع اشـــتراكى جديد ، ينهض على انسان جديد ، قادر على صنع الحياة الجديدة فى ارضه ، ونشر الحب كعلامة من علامات الصحة الروحية والنفسية ٠

كان مایاكوفسكى يلقى قصائده وسط جموع الشعب

الغفيرة التي تغص بهم ميادين موسكو ، فسمتلك على التو مشاعرها . وكانت دواوينـه تحقق فى نفس الوقت أعلى توزيع بلغه شاعر ، اذ وصل توزيعها الى ٨٠٠ ألف نسخة لديوان . ويقدر عدد اللغات التى ترجمت اليها قصـائده باكثر من ثلاثين لغة .

ولم يكن هذا الموقف الثورى يقتصر على تجربتـه العملية الطموحة فى الحياة التى تجعله يقف بوعيه الكامل أمام الكرة الأرضية باسرها ، بل كان ينطبق أيضـا على موقفه الفنى ، كثائر على التقاليد الفنية البالية ، يرفض اللغة والأوزان والصـور التقليدية المستعملة ، التى تعكس روح الطبقات السائدة ، مبتدئا صفحـة جديدة فى التعبير الفنى ، تنظر وحسب ، فى مراحلها الأولى ، الى الحـاضر والمستقبل ، وتعتمد على الخلق والابداع غير المسبوق .

وعلى الرغم من ايمان مایاكوفسكى العميق بالثورة والتغيير ، وتغنيه بانجازاتها المـادية التى كان يتابعهـا مع متابعته لأحداث العالم ، الا أنه كانت له ذاتيته التى لم يشأ أن يتخلىعنها ، ويذوب فى تنظيمات الثورة ، او ينخرط فى حزبهـا ، ايمانا منه بأن الفن ينبغى أن يـكون متعدد الألوان ، وليس لونا واحدا .

ونتيجة لغلبة روح لفنان المبدع ، المتعدد الأوجه ، على صوت الداعية ، الوحيد الوجه ، يعترف مایاكوفسكى

بأن سيرته الأدبية التى كتبها فى قصيدة « **الرديء** » لم تكن على مستوى جيد . لأن الروح الاكاديمية المنظمة لم تؤثر فيه بالقدر الكافى . ويذكر فى مناسبة اخرى انه يستعين احيانا بالكتب ، وفى احيان اخرى يعينها ، ويقصد بذلك ان الكتب لم تكن تعطيه دائما ما يريد ، وعندئذ كان يضيف اليها ، بدلا من ان ياخذ منها .

ومع ان مایاكوفسكى تمتع فى حياته بتقدير زعماء الثورة ، وعدد من كبار الكتاب الروس ، فى مقدمتهم مكسيم جوركى . الا أن البيروقراطية الحاكمة استطاعت ان تنال منه ، لأنه لم يكرس كل شعره للثورة وحدها ، وانما كتب بعض القصائد فى الحب ، معبرا عن البعد العاطفى والوجدانى فى نفسه ، واتسم شعره بالغموض .

وكان الاتهام الذى وجه الى مایاكوفسكى انه شاعر رومانتيكى ، عاطفى . ينزع فى قصائده الغنائية نزوعا فرديا .

غير أنه ظل حتى آخر يوم فى حياته يعتبر هذا الانجاز الوجدانى افضل انجازاته الشعرية ، وانه ، بعدم تركيزه على هذا الجانب ، اغرق زورقه فى الواقع ، وداس على صخرة شعره ذاتها .

ولم تكن البيروقراطية وحدها هى التي وجهت سهامها

العاتلة الى مایاکوفسکی ، بسبب حضور الذات فی شعره. بل ان شعراء الفن للفن ، الذین ینتمون للحرکة الرمزیة ، شارکوا ، من الجهة المقابلة ، فی هذه الحملة ، ضد شاعر هبط ــ فی نظرهم ــ الی عالم الواقع الیومی ، عالم السیاسة ، وتحول باهتمامه بالموضوع الی اداة من ادوات الحزب ، ولم یحلق فی السماء ، بحثا عن مواطن الجمال السامی .

کما ساند هذه المدرسة الفنیة فی الهجوم علی مایاکوفسکی شعراء الکلاسیکیة ، الذین ینظمون اشعارهم علی غرار شعر الکسندر بوشکین (۱۷۹۹ ــ ۱۳۸۷) ، و « لصوص الأدب » الذین حاربوا شعراء الثورة بسبب تاثرهم بسبرهم الشخصیة .

وهکذا وجد مایاکوفسکی نفسه فی مهب ریاح عاصفة، بالغة التناقض . تاتیه من کل صوب ، ولکنها تستهدف مجتمعة تحطیم مجده الأدبی ، والشهرة الذائعة التی تمتع بها فی بلاده وخارجها ، واکدت له ــ یوما بعد یوم ــ انه أعظم الشعراء قاطبة .

ولهذا لم یجد مایاکوفسکی حلا لما یواجهه من هجوم النقد او صمت النقاد غیر ان یطلق الرصاص علی قلبه ، فی شقته الصغیرة بالطابق الثالث ، التی تحولت الی متحف ، وهو لا یزال فی السابعة والثلاثین من عمره .

وبجانب جثته ـ ترك مایاكوفسكي خطابا قصيرا بخط يده ، يذكر فيه ان الطريقة التي اختارها لخلاصه لا تناسب أحدا سواه ، ويقدم الشكر الى الحكومة اذا جعلت حياة اسرته اكثر دعة ، محددا افرادها بالاسم ، ومتمنيا أن يعيش الجميع سعداء .

« الصياد » ، بيروت ، ١٢ أغسطس ١٩٨٢ .

يســـــنين

منذ بضعة شهور احتفلت الأوساط الأدبية فى الاتحاد السوفيتى بالذكرى الثمانين على ميلاد الشاعر الروسى سيرجى يسنين ، آخر الشعراء القدامى التقليديين ٠

عاش يسنين فيما بين ١٨٩٥ ــ ١٩٢٥ حياة خاطفة، انتهت ، كما انتهت حياة مايا كوفسكى الخاطفة ، بانتحاره فى أحد فنادق لينينجراد ٠ كانت النشأة التى نشأها وسط التقاليد الاجتماعية العريقة ، فى قرية فقيرة ، يبحث أهلها عن العمل والقوت فى المدن الكبيرة ، تتسم بالتهتك والعربدة والصخب ، ومخالطة القتلة واللصوص » ٠

كان يسنين يعتبر نفسه امتدادا لبوشكين ، ذلك لأن

انعطافه نحو الشعر بدأ عبر قراءة هـذا الشاعر الروسي ، وعبر قراءة لبرمانتوف ونكراسوف وكولتسوف .

وعلى قصر هـذا العمر الذى يغلب عليـه الشـعور بالعجلة ، ترك يسنين ، بفضل موهبته الفذة ، تراثا متنوعا يتألف من القصص القصـيرة والمقالات والمـلاحم . ولكن القصيدة الغنائية التى تحفظ فى بلاده عن ظهر قلب ، والتى بدأها فى السادسـة عشرة أو السابعـة عشرة ، تعد أهم انتاجه ، وأكثره افصاحا عن ملكاته الفنية ، التى تعرف كيف تعبر ، بصـدق النفس ، عن كل الأفراح والأحزان والأخيلة التى تلم به وبأهل قريته .

يقول ك . زيلنسكى فى الفصل الذى عقده عن يسنين فى كتابـه « **الأدب السـوفيتى** » أن يسنين كان شـاعر القلب ، شاعر الانسانية ذاتها ، الذى يصـل صوته الى كل اللغات ، والى البشر فى كل مكان ، لأن شـعره يرف بروح الغرباء المجهولين مع دفء الدم .

كذلك وصف مايأكوفسكى اشعار يسنين بأنها موجودة حيث يوجد الألم .. الألم الذى يولده سحق وردة بالأقدام، او قطف الفاكهة للطعام ، او استشعار حزن العيون البشرية بدرجة أعمق من حزن عيون البقر .

ويذكر يسـنين فى مذكراتـه الخاصـة ، انه فى سنة ١٩١٩ اشترك مع عدد من أصـدقائه الأدباء فى تبنى

المدرسة التصويرية . غير ان الدعوة لم تقابل باى اهتمام ، لضعف الأسس النظرية التى تنهض عليها .

ونعد قصائد يسنين عن الوطن من اعذب قصائد الشعر الروسى فى العصر الحديث . فى هذه القصائد التى تتردد فى ابياتها كلمات التشعب الحبة وأغانيه تتجلى ، اوضح ما تكون ، طبيعة بلاده ، ممتزجة امتزاجا حميما بالانسان والأشياء .الأشجار المتشحة بالثلج الأبيض تحت الشباك ، فى القرى التى ولد فيها ، وعرف قبحها وجمالها ، والطرق الممتدة فى ضوء القمر فى الشتاء ، فى المدن الكبيرة ، والأرض الأم ، والسماء والأنهار .. كلها فى حالة حركة ، معقودة الأواصر مع الحياة ذاتها ، والفرار من الحزن العاصف الى داره الصغيرة ، وقلبه الزاخر بالأحلام الكامنة ، والمحبة المسبحية الغامرة للأصدقاء والاعداء على حد سواء ، والاستسلام للأحاسيس الجديدة التى يذوب بها فى قلب الطبيعة ، ويدرك كنه الوجود ، والحس بالمسئولية ازاء الحياة .

هذه بعض المعانى الكلية التى يتحرك فى اطارها القومى ، فى بساطة ودون تعقيد ، شعر يسنين .

وعندما سافر يسنين مع زوجته الراقصة ايزادورا الى امريكا ، لم تعجبه ، وفضل عليها « سماء روسيا

الرمادية » ، وآكواخها المطمورة فى الطين على ناطحات السحاب الأمريكية ·

وترجع أهمية هذا الشاعر ، بالنسبة لنا فى الشرق العربى ، الى ما يتميز به شعره العاطفى خاصة من روح انسانية تلتقى مع الروح الشاعرية لأعلام الشعر الشرقى، كما يشير الناقد الأدبى س· كوشيتشكين فى مقاله المهم عن ((**قلب الشاعر**)) ·

ويسنين بالنسبة للأدب الايطالى يعتبر ، مع ليوتولستوى ودوستويفسكى وتشيكوف ، من الأسماء الأساسية التى اثرت تاثيرا مباشرا فى ادباء ايطاليا المحدثين، وفى غيرهم من ادباء العالم ·

« المساء » ، القاهرة ، ديسمبر ١٩٧٥ ·

محمـــد عـــاكف

شاعر تركى ، نشأ بالاستانة نشاة دينية فى حى مجاور لمسجد محمد الفاتح الذى كان والده يدرس فيه ، وتغنى الشاعر بصاحبه ، باعتباره ـ مثل صلاح الدين ـ رمزا للمجد التليد الذى كان ، وظل طوال حياته يبحث عنه فى الزمن الحديث •

تخرج فى كلية الطب البيطرى باستانبول ، ثم عمل ابتداء من سنة ١٩١٧ رئيسا لتحرير مجلة « الصراط المستقيم » التى أصبح اسمها « سبل الرشاد » • وحين قامت الثورة فى الاناضول التى ألفت الخلافة العثمانية انضم اليها محمد عاكف ، وكتب لها الأناشيد الوطنية دفاعا عن الاستقلال ، كما تغنى بالعاصمة الجديدة انقره •

ولم يكد يشعر بأن الثورة تغالى فى الاتجـاه الى

الغرب . مبتعدة عن الماضى ، الذى تمثل فى تراث الشرق الاسلامى ، ويتجه تفكيرها الى استخدام الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية التركية ، حتى قرر أن يهاجر سنة ١٩٢٤ الى مصر حيث عمل بجامعة القاهرة مدرسا للغة التركية وآدابها ما يزيد عن عشر سنين متصلة ، اقام خلالها فى حلوان ، وكانت حينذاك خلاء .

والحق ان صلة عاكف بمصر ترجع الى ما قبل هذا التاريخ ، فقد زارها أكثر من مرة ، وتعرف على آثارها الفرعونية خاصة بشكل حميم تجلى فى كثير من قصائده .

يقول محمد عاكف مصورا ما آلت اليه الأمور فى بلاده . فى قصيدة « الظلال » من ديوان « صفحات » ترجمة ابراهيم صبرى :

« نظرت ذات اليمين وذات الشمال

فاذا الاجانب قد احتلوا كل ناحية

فما كان منى الا ان خنقت صراخى

ثم أخذت جثمانه

وقطعته اربا اربا

ثم دفنته فى شعرى » .

ونتيجة للمرض الذى نزل به فى سنه المرتفعة ، بالاضافة الى تفاقم شعوره بالوحدة والتيه ، عاد الى بلاده

وهو فى قمـة الشعور بالقنوط وسـام الحياة . وتوفى فى السابع والعشرين من شهر ديسمبر ١٩٣٦ بعد أن تجـاوز السـتين .

ومحمد عاكف مثل الشاعر الانجليزى جورج هربرت (١٥٩٣ ــ ١٦٣٢) يخاطب الله شاكيا او بتعبير أدق ، يشرك الله فى محنـة الانصراف عنه ، ولكنـه لا يلبث أن يعتذر ــ مثل الشاعر الانجليزى أيضا ــ عما يقترف فى عمره الخرب قائلا فى قصيدة « هجران » :

« رباه اضاق صدرى ؟ اين نورك اين رحمتك ؟

كيف يبقى هجرانك مشعلا نار الجحيم على آفاقى ؟

اجل ، كنت غافـلا ، اما يغفل الانسـان .

تعال ليس هنـا سـواك ، والمنزل لك » .

وهنـاك عدد كبير من القصـائد ، تصـور النزاع الخـائب ــ على حد تعبير الشـاعر ــ بين التردد على الحانات ، والخشوع لمجد السماء . .

وشعر محمد عاكف شعر سلس ، قريب التناول ، ينبض بالحـان الطبيعة الأزلية ، ويحتشد بالرموز المادية والروحية ذات الدلالة الواضحة على أنه بمقدور الشاعر ان يقرأ أجمل المعانى فى الأحجار المحطمة على الأرض ، فى البلى ، فى الشراع الذى يجتـاز النهر ، وفى الصحـارى

والشموس والأقمار والورد ، وبمقدوره فى نفس الوقت ان يضمن هذه الأشعار التقارير الرسمية الجافة ٠

وهذا الشعر ينم عن ثقافة انسانية متنوعة ، تجمع بين الدين ، والعلم ، والتصوف ، والتاريخ ، فضلا عن المعرفة الحية بالأدب الشعبى ٠

اما الحزن الذى يرف به فيرجع فى السبب المباشر الى الآلام المبرحة التى عاناها الشاعر نتيجة لضياع المثل العليا التى كان يتمسك بها ، والى المصائب المتتالية التى رآها تنزل على العالم الاسلامى ممثلة فى اجتياح الغرب للشرق وقدرته على شل تفكيره ، وانتشار الفقر والمرض والبطالة والمظالم والخراب فى ربوعه ، بعد ان كان مصدرا لعمران التاريخ ، وموطنا للتوحيد ، تتفجر رماله بالرسل والأنبياء قبل أن يبرق اى ايمان فى سماء العالم ٠

فى معرض هذه القضية الأساسية ، ترتفع انات الشاعر متاسيا على من يحبو على الأرض مثل الرضيع — ويقصد به الشرق — بينما العالم يعدو ، والبشر يقفون فى الفضاء للسيطرة على الجو ، ويتحكمون فى أعماق الأرض والبحار ، ويسيطرون على الزمن ٠

ومع هذا لم ييأس محمد عاكف مطلقا من هبوب نفحة الهية تصدر من الذات ، تحرك الشعور الجامد فى هذا

الشرق • تدفع بعيدا هذا الكابوس الجاثم على الصدر • تحرق بالنار الأفكار البالية ، وتبيد البيئة التى تحولت الى ماتم ، وتقشع الليل الطويل ، وتوحد الجهود الفردية المشتتة بعمل جماعى واحد ، حتى ينهض الشرق مطالبا بحقه فى الحياة الحرة التى تليق بماضيه العريق وبكرامته الانسانية •

على ان هموم محمد عاكف لم تكن هموما قومية وحسب ، كما تعبر هذه الكلمات ، ولكنها كانت تضرب أيضا فى الآفاق البعيدة للكون الموحش ، كون القرن العشرين الزاخر بألوان العبودية ، بحثا عن المعنى الضائع فى لجة الزمن •

« المساء » ، القاهرة ، ١١ ديسمبر ١٩٨٠ •

أندريه مالرو

في الثالث من شهر نوفمبر ١٩٠١ ولد الكاتب الفرنسي اندريه مالرو • وفي الثالث والعشرين من نفس الشهر سنة ١٩٧٦ رحل عن عالمنا ، بعد حياة حافلة بالابداع الفكري والنضال العملي ، تكريسا للحرية الانسانية ، واعلاء من قيمة الفن الذي يظل حاضرا حتى بعد موت الانسان •

ولأن حياة اندريه مالرو هي مصدر عطائه الخصب في الفن ، لا معدى عن الالمام بحياته ، سواء في مرحلة الطفولة البغيضة التي عاشها ، ووصفها بانه لا يحبها ، على عكس اغلب الكتاب •• او عبر خيبة الأمل التي منى بها المرة بعد المرة ، ابتداء من زعزعة القيم والمبادىء العظيمة في أوربا ، تحت تأثير الحرب العالمية الأولى ، واثناء المعارك التي خاضها بنفسه او تعرض لها ، في الشرق والغرب •

على ان ابرز معـالم رحلة الحيـاة انتحـار جـده سنة ١٩١٣ ، واندريه فى الثانية عشرة من عمره ، والتحاقه بعد اتمام دراسـته الثانوية فى مدرسة كوندورسيه بمدرسة اللغات الشرقية حيث تخصص فى اللغة السنسكريتية ٠

وفى سن العشرين ، سنة ١٩٢١ ، أصدر مالرو أول كتبه « أقمار من ورق » وهو ديوان سيريالى من الشـعر المنثور ، رسم لوحاته الفنان فرنان ليجيه ، وأهداه الى ماكس جاكوب ، أشهر دعاة المدرسة التكعيبية ٠

بعد ذلك بدأت حياته العملية تتخذ منعطفا جديدا التزم به فى مستقبل الأيام ، يتحقق فيه الفكر النظرى من خلال الفعل العملى ، وذلك بالسفر الى أقصى الشرق للبحث عن الآثار البوذية القديمة فى كمبوديا ، لاعتقاده الراسخ بأن الحضـارة الشرقيـة هى التى تلقى الأضـواء على حضارة الغرب ٠

غير انه لم يلبث ان انضم سنة ١٩٢٣ ــ ١٩٢٥ الى منظمة الثورة فى الهند الصينية التى تهدف الى الاستقلال الوطنى عن طريق التحرر من الاستعمار الفرنسى٠وفى السنة التالية مباشرة انخرط فى الصراع ضد الادارة الفرنسـية فى فيتنام الجنوبية ، وكتب عدة مقالات فى افتتاحية مجلة الهند الصينية ٠٠ يندد فيها بكل أشكال الاستعمار ٠

عاد اندريه بعد ذلك الى فرنسا ٠ ولم نكد تمضى عدة سنوات حتى أوفد سنة ١٩٣٤ فى بعثة أثرية جديدة

الى صحراء الجزيرة العربية ، ثم اتجه من باريس ، بصحبة أندريه جيد ، الى برلين للدفاع عن المتهمين بحرق البرلمان الألماني • وهناك شاهد معسكرات الاعتقال الألمانية البشعة • وفى سنة ١٩٣٦ شارك فى الحرب الأهلية الاسبانية مع طليعة المثقفين الأوروبيين للدفاع عن الجمهورية الأسبانية ضد الفاشيست الأسبان •

كما شارك مالرو فى الحرب العالمية الثانية فى فرقة المدرعات الفرنسية ، واسره الألمان أكثر من مرة •

وعندما وضعت الحرب أوزارها دعاه صديقه ديجول الى العمل فى الوزارة من ١٩٤٥ الى ١٩٤٦ ، ثم تولى سنة ١٩٥٨ وزارة الثقافة فى حكومة ديجول الثانية •

وتستحق صلة مالرو بديجول وقفة خاصة ، لأن مالرو ذكر قبل وفاته انه كان يستوحى من ديجول جهاده ، وصموده ، وقدرته على الابتكار • ولذلك اعتزل مالرو السياسة منذ سنة ١٩٦٩ اثر استقالة ديجول ، تاركا آثاره الواضحة على الآداب والفنون الفرنسية ، فى المرحلة التى تولى فيها وزارة الثقافة •

هذا عن حياة اندريه مالرو العملية فى خطوطها العريضة •

أما انتاجه الأدبى والفنى فنستطيع أن نرى بوضوح انه تحت تأثير ايمانه العميق بحضارات الشرق فى مصر

والصين والهند وايران صدر له سنة ١٩٢٦ كتاب « غواية الغرب » ، وهو عبارة عن رسائل متبادلة بين شاب صينى وشاب فرنسى ، صيغت فى شكل حوار بين حضارة الشرق العريقة وحضارة الغرب الآفلة ٠

تلا « غواية الغرب » روايته الأولى « الغزاة »١٩٢٨ التى اتخذ مادتها من اضرابات العمال الصينيين فى شنغهاى ، ثم روايته « المملكة العجيبة » فى نفس السنة ٠ ثم رواياته الثلاث التى حققت له مجده الأدبى وهى :

« الفاتحون » ١٩٢٨ ، و « الطريق الملكى » ١٩٣٠ « وقدر الانسان او الوضع الانسانى » ١٩٣٣ التى نال عليها جائز جونكور العالمية ٠

كذلك صدر لمالرو سنة ١٩٣٥ رواية « زمن الازدراء » التىاستوحات من معسكرات الاعتقال الألمانية٠ وفى ١٩٣٧ صدرت رواية « الأمل » عن الحرب الاسبانية ، وقد فازت ايضا سنة ١٩٤٥ بجائزة ديلوك ٠ وفى سنة ١٩٤٣ صدر الجزء الأول من روايته « صراع الملائكة » بعنوان « اشجار الجوز فى التنبرج » ٠

ويلاحظ النقاد على هذا الانتاج الروائى غلبة العنف والدموية ومظاهر الوحشية ومواقف البطولة والموت ، نتيجة يقين الكاتب بأن جوهر الانسان لا يتجلى الا ساعة

الخطر ، ويمثل هـذا التجلى ، حين تكون غاياته سامية ، القانون الاخلاقي للعالم والكون ، وشرف الانسان ٠

على ان انتاج مالرو فى فلسفة الفن الذى تطلع به الى بعث حضـارى عظيم ، تتوحـد به الانسـانية ، لم يبدأ الا متأخرا بعض الشىء سنة ١٩٤٧ بعد انتاجه الروائى ، وذلك بكتاب « سيكولوجية الفن » وهو يتألف من ثلاثـة أجزاء كتبت بوحى من معرفته بما تضمه متـاحف أوربا وروسـيا ، واحاطتـه بفنـون الشرق ، وهى : « المتحف الخيالى » ١٩٤٧ ، « الخلق الفنى » ١٩٤٨ ، « نقـد المطلق » ١٩٤٩ ٠

وفى سنة ١٩٥١ اضاف الى هذه الكتب ٢٥٠ لوحـة صـدرت فى كتاب « أصوات الصمت » ثم « تنسـكيلات أو تناسخ الآلهة » ١٩٥٧ وفى ١٩٦٧ طلع على قرائه فى انحاء العالم بمجلد « اللامذكرات » ٠٠ الذى اعتبره مالرو حلقة فنية تالية لرواية « الأمل » ١٩٣٧ وفيه يتحدث مالرو بافتتان عن ثلاثة من عظماء هـذا القرن وهم ٠٠ ديجول ونهرو وماوتسى تونج ٠

واتجاه أندريه مالرو فى فلسفة الفن يعبر عن مفهوم خاص يرى انه الأنشودة التى يرددها التاريخ من خلاله يحقق الخلود للانسان او البقاء الأبدى له ، من حيث تعجز الحياة نفسها عن ذلك ، بسبب استحالة استرجاع اى شىء كان ٠

ان الخلق والابداع عند مالرو ليس نقلا أو محاكاة كما تذهب الاتجاهات الكلاسيكية ، بل هو ابتعاد ارادى عن الواقع ، باختزال الشكل أو الحركة ، واقامة معادل لاكتشاف عالم نموذجى جديد ٠

وهذا المعادل معادل كامل تام الاستقلال ، لا علاقه بين العبقرية فيه والطبيعة ، يتجاوز العالم المقيد بالزمان بأن يحوره ويغيره وينتصر عليه فى المدارج العالية للتطور ، بالاندماج الكلى فى عالم انسانى آخر غير مسروط ، يصل من خلاله الأصل بقوة الأسلوب الكلى الى الغاية الكامنة فى نفسه ٠٠ هذه الغاية التى آمن مالرو فى حياته العملية بضرورة الصراع ضد القدر من أجلها ، لانها يمكن أن تمنح الانسان وجودا بلا خطيئة ٠٠ يماثل الوجود الوديع الساكن فى التماثيل ٠

اما الصلة أو القاسم المشترك بين حياة مالرو وأدبه ومفهومه النظرى للفن فيتمثل فى عدد من العناصر يصعب استنسفافها فى رؤية واحدة ، وسنشغل النقاد بالطبع أمدا طويلا فى المستقبل ٠

الا انه بالوسع الاشارة ــ مجرد الاشارة ــ الى ما نجده من تشابه قائم فى الموقف الكلى للانسان والحضارات أى للواقع الراهن والتاريخ ٠

ان حيـاة مالرو حياة واقعيـة رغم ان شخصـياته متوحدة تعيش منعزلة ، تتجاور دون ان يفهم احدها الآخر الا فى لحظات الكفـاح والمواجهة الحاسـمة التى تسقط فيهـا الحواجـز ، ويولد الاخـاء ، وتتحقق الرفعـة للانسـان ٠

كذلك يجد مالرو ان الحضارات نفسها التى تجمع اخيرا بين رفات الموتى تنطوى على اسرار خفية تعجز كل حضارة عن فهم الأخرى وتعيش هى الأخرى فى عزلة عن سائر الحضارات ٠

ولكنها كقيم حية مصـدر كبير للمعرفة الخصبة ، وهى الدليل على كبرياء الانسان ، وعلى قدرته الخلاقة على الافلات من الوضع الانسانى العابر ، على غرار كل صور البطولة المنتصرة فى الأعمال الفنيـة ، او الفعل المتمرد فى الواقع العملى ٠

---

٥ المساء » ٤ ، ٥ ديسمبر ١٩٨٠ ٠

ناظـــم حـــكمت

شاعر تركيا العظيم • ولد فى مدينـــة سالونيك فى السابع من فبراير ١٩٠٢ ، وتوفى فى الثالث من يونية ١٩٦٣، بعد حيـــاة حافلة بالابداع والنضـــال فى وطنه وفى المنفى •

وفى الذكرى السنوية الأولى على رحيله ، سنة ١٩٦٤، اقيم له فى باريس حفل تابين قـــام بتنظيمه الشاعر لويس اراجون والفيلسوف جان بول سارتر •

قضى ناظم حكمت فى سجن بروس التركى نحو سبع عشرة سنة • وظل بقية حياته يعانى من الداء الذى اصيب به فى الســـجن • ومع هـــذا كان يرى بحق ان الســـجن فى الوطن والتخفى من المطاردين باسم مستعار ـــ اســـم اوخان سليم ـــ خير من أى مجد فى المنفى ، بعيدا عن الوطن وعن لغته القومية واغانيه وشعبه ، قائلا ان المنفى مهنـــة

شاقة ـ أشنع من الموت • وداخل جدران السجن ، وفى ظلماته الباردة . كتب الشاعر افضل اعماله •

ثار على الأشكال التقليدية فى الشعر ، ممثلة فى الأوزان الرتيبة فى العروض التركى ، التى تماثل اوزان العروض العربى ، ورفض التراكيب والصيغ اللغوية المستهلكة ، لأنها ـ العروض القديم واللغة التقليدية ـ تعوق تجديد الشاعر فى الشكل والمضمون ، على حين كان هدف ناظم حكمت تخطى الذات ، وتحطيم الحدود التى تفصل بين الشعر والحياة ، اعلاء للشعر والحياة ، ووضع الحركة والتغير مقابل السكون والثبات •

كان هدفه ، فى كلمة ، مواجهة العصر•وبهذا الموقف استطاع ناظم حكمت أن يرتفع الى روح العصر بقامة عالية. وان يعبر بأصالة عن القضايا الأساسية للبسطاء ، فى انحاء العالم وعلى مدى التاريخ ، ليس بالشعارات المصكوكة سلفا ، التى لا تحمل رصيدا من اى نوع ، وانما بالارتباط الحميم بين ذات الشاعر وموضوعه ، بين الخاص والعام ، وامتزاج الواقع بالأسطورة ، مستلهما مادته من التراث التركى العريق •

وفى قصيدة لناظم حكمت على لسان فتاة من ضحايا قنبلة هيروشيما التى فتكت بالآلاف ، يقول الشاعر معبرا عن موقفه الانسانى :

« انكم لا تستطيعون أن تبصرونى لان الأحيـــاء
لا يبصرون الموتى
اننى فتـاة من هيروشيما ..
فى البدء مست النار غدائر شعرى ،
ثم احترقت عينـاى ويداى .
ثم اصبحت حفنـة من رمـاد
تذروهـا الريـاح .
اننى اطرق ابوابكم جميعـا .
يا اهـلى من بعدى ..
كى تعطـونى عهـدا ،
بالا يقتل الأطفال او يحترقوا .. »

والقصيدة كما يبدو للقارىء بجـلاء على درجـة واضحة من الكثافة والتركيز . انها اشبه بطلقة رصـاص مباشرة ،او كحد السكين المرهف المسنون .

ان العالم الذى تخلقه القصيدة عالم فاجع ، يختلط فيه الموتى بالأحياء ، دون ان يرى الأحياء الموتى ولكن الموتى يستطيعون ان يروا الأحيـــاء . والفتـــاة التى تتحـدث برقـة انثويـة تصـف بدقـة كيف ان النـار

اشتعلت اولا فى غدائر شعرها ، لأن الشعر اسرع فى التقاط النار من باقى اعضاء الجسم ·· ومن شعرها الى عينيها ·

هذا هو المصير الذى نزل بالفتاة · وحتى لا يتعرض احد من بعد الى ويلات مماثلة ، تطرق هـذه الفتاة ـ من عالم الموتى ـ ابوابنا ، وفى هذا تهكم بالغ ، لانه لم يحدث من قبل احد من الأحياء المعاصرين ، لكى نعاهدها بألا يتعرض الأطفال ـ رمز المستقبل ـ للقتل او الاحتراق ·

ويرجع غنى تجارب ناظم حكمت الشعرية الى جمعه بتمكن بين الثقافة الشرقية ـ وتتضمن العربية ـ وبين الثقافة الغربية ، والى قدرته الخلاقة على صياغة الفولكلور القديم من خلال رؤية حديثة ، تنبع من القرن العشرين الذى كان يفخر فى قصائده بالوجود فيه ··

والى جانب القصيدة التى عرف بها كشاعر كتب ناظم حكمت المسرحية والرواية والمقال الأدبى ·

وناظم حكمت من الشعراء الذين حاربوا طبقتهم · فقد انحدر من طبقة اقطاعية ، الا انه لم تبهره المكانة الارستقراطية التى كان يمكن ، لو اراد أن يتمتع بها ، كابن لمدير المطبوعات العام ، وحفيد لوالى سورية فى حكم العثمانيين · وانما ناضل فى سبيل الاجهاز على كل صور الاستغلال والمظالم اللا انسانية ، سواء بالكلمة ام الفعل ·

كما شارك ناظم حكمت فى حرب التحرير التركية ، التى استعرت معاركها على هضبات الاناضول ، واتصل بكمال اتاتورك ، الذى دعا الى تحديث تركيا ، وقام بايفاد ناظم حكمت الى روسيا ، تقديرا له ، لدراسة الاقتصاد السياسى ٠

وخلال هذا النضال الطويل ، المرتبط بمفهومه الملتزم للابداع ، لا كمظهر من مظاهر الترف والوجاهة الاجتماعية الكاذبة ، تاكد لديه ان النور لن يخرج من الظلمات الا بالكفاح ، والاصرار على أن نعيش حياة انسانية خالية من الظلم والمآسى ، فى العالم الفسيح الارجاء ٠

ومع ان ناظم حكمت كان على وعى تام بأنه سيمضى الى الثرى وهو يحمل حسرة أغنيية لم تتم ، الا انه لم يفقد تفاؤله أبدا فى قدوم الربيع ٠

« المساء » ، القاهرة ، ٢٧ نوفمبر ١٩٨٠ ٠

نيكولاى استروفسكى

احتفلت الأوساط الأدبية فى الاتحاد السوفييتى ، فى أواخر السنة الماضية ، بمرور ٧٠ سنة على مولد الكاتب الروسى نيكولاى استروفسكى ، الذى ولد فى احدى قرى أوكرانيا سنة ١٩٠٤ ، وتوفى فى موسكو فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٣٦ ، عن ٣٢ سنة ، قضى منها السنوات الثمانى الأخيرة وهو يعانى من المرض الذى أودى به .

كان نيكولاى الابن الخامس لأب فقير ، من الطبقة العاملة ، وأم غسالة . ولهذا لم تتيسر أمامه الفرصة لكى يتعلم ، واضطر ، تحت تأثير الحاجة الملحة ، أن يعمل فى سن التاسعة راعى غنم . وفى سن الحادية عشرة التحق بمبوفيه احدى محطات السكة الحديد ، كعامل مطبخ ، عقب اندلاع الحرب العالمية الأولى .

ويذكر استروفسكي . في أحاديثه الخاصة التي كان يفضي بها الى عواده ، أثناء المرض الطويل ، أن حبه الفطري للموسيقا كان يدفعه الى الوقوف وراء الشبابيك المغلقة ، لكي ينصت اليها • ولم يكن يستطيع الدراسة في مدرسة القرية الا لفترات قصيرة جدا • ولا يقرأ الا في الليل •

في هذه المرحلة الشاقة من الطفولة ، اصيب نيكولاي بمرض الروماتيزم الذي لازمه طوال حياته . نتيجة للتعرض للبرد القارس في العراء •

كما قرأ ، بفهم عميق ، تعاليم لينين ، الذي قاد الثورة الاجتماعية في بلاده ، على المستوى النظري والتطبيقي، واعجب الى غير حد بغاريبالدي ، محرر ايطاليا ، وحرك خياله أعمال أدباء روسيا الكلاسيكيين جوجول . بوشكين، تورجنيف ، تولستوي ، تشيكوف ، جوركي •

والطريف ان موهبة استروفسكي الأدبية لم تظهر وتؤتي ثمارها الا في السنين الأخيرة من حياته القصيرة ، وبالتحديد بعد سنة ١٩٣٠ ، حين أحس ، وسط آلام المرض ، وفقد البصر ، الذي أحال كل شيء من حوله الى ليل قاتم ، بأن قوة الحياة تناديه لكي يقاوم هذه الأقدار التعسة ، فليس أروع للانسان ـــ كما اشار ـــ من أن يستطيع الاستمرار في خدمة الجنس البشري حتى بعد أن تنتهي حياته •

وهكذا اقتحم استروفسكى الحركة الأدبية بملكة مبدعة . الا انه لم يكتب سوى روايتين ، كتب بعض اجزائهما بيده ، وأملى الأجزاء الباقية على بعض افراد أسرته ، وبعض اصدقائه المقربين .

ولم يكن يتمنى الا أن يمتد به العمر خمس سنين اخرى ، فقط خمس سنين أخرى ، حتى يتم الجزءين الثاني والثالث من روايته الثانية .

غير ان الروايتين : « **كيف سقينا الفولاذ** » و « **ولد فى العاصفة** » كانتا كافيتين لكى يحفظا اسم استروفسكى بين الأدباء المقاتلين فى تاريخ الأدب الروسى ، فقد طبعتا عشرات المرات ، وعرفتا على النطاق العالمى ، عن طريق الترجمات العديدة .

والذين زاروا الاتحاد السوفييتى يذكرون أن منزل استروفسكى الذى توفى فيه ، بعد ان عجز عن الحركة ، تحول الى متحف ، يرتاده قراء أدبه من السوفييت ، ومن جميع الأجناس .

وتعد شخصية بافل كورتشاجن الحيوية ، فى روايته الأولى التى انتهى من تأليفها سنة ١٩٣٣ ، خير تعبير عن البطولة الجديدة فى عصرنا الراهن . وهى من أعظم الشخصيات التى خلقت لها اصدقاء من القراء فى كل مكان،

ولا يدانيها فى صـــدقها الا شخصية بافل فاسلوف ، فى رواية « الأم » لمكسيم جوركى ٠

ذلك أن المؤلف جسد فيها البطولة الطبيعية المتطورة للطبقة العاملة ، والصفات المثلى للجيل الجديد الشـــاب الذى صـــنع الثورة الروســـية ، وكرس قواعد النظـــام الاشتراكى المتقدم من أجل سعادة الانسان ٠

يقول النـــاقد الأدبى كورنيلى زيلنسكى فى كتابـــه « الأدب السوفيتى ـ المشاكل والناس » فى الفصـــل الذى عقده عن البطل الحديث : ان رواية « كيف سقينا الفولاذ » تعد واحدة من الوثائق أو السجلات البشرية المتميزة ، التى تلقى بضـــوئها على كل العهود التاريخية ٠

تحكى الرواية عن حياة المؤلف نفسه غير العاديـــة ، منـــذ الطفولـــة ٠ وفى أحد فصـــولها تصـــور كيف كان استروفسكى يقطع الخشب بالبلطة مع زملائه ، وهم حفـــاة الأقدام ، الثلج يتساقط عليهم ، ولا يجدون مكانا للنوم ولا طعاما ، بحيث انه كان يبدو أن الطاقـــة البشريـــة لم يعد بوسعها أن تتحمل كل هذه التعاسة ، لولا أنها وجدت منفذا لها فى الحماسة الذاتية والثقة التى تشبع بها النفوس حيال النظام الجديد ٠

ورغم ان الرواية اعتمدت على حياة استروفســـكى الواقعية ، بحيث انها يمـــكن أن تدرج ضمن ترجمـــات الحياة ، الا انها ـ ككل عمل فنى خلاق ـ تتخطى هـــذه

التخوم ، بما تضمنت من حقائق تاريخية عديدة ، حاول استروفسكي أن يصنع بعضها بيديه ، وبما تضمنت أيضا من حياة جديدة أعلنت ميلادها ، من أجل سعادة الجنس البشرى ٠

تناول استروفسكي بطله ابتداء من طفولته ، مبرزا للقارىء كيف ان عقل البطل وشخصيته تشكلا فى غضون مقاومته للأوضاع الاقتصادية للحياة ، وتخلق حياة جديدة فوق ارض الآباء ، يدفع اليها احساسه الداخلى بانه سيد كل عمل ، وسيد الأرض نفسها ٠

واستروفسكي يرى ان الذين ليس لديهم استعداد للنضال لصالح القضايا العامة ، لا يستطيعون ، بالتالى ان يدافعوا عن قضاياهم الخاصة ، كما أن الذين يرتبطون بقضايا عامة ، لا يمكن الاجهاز عليهم الا بالاجهاز على الوسط المحيط بهم ، ان لم يكن الا بالاجهاز على الوطن كله ٠

ولعل هذه العقيدة الجدلية ان تكون سر الجمال الروحى لهذا البطل الشاب المقاتل ، بافل كورتشاجن ، الذى يجسد صورة جيل بأكمله ، خاصة وان الرواية ليست وحسب رواية نضال بافل ، بل رواية حب أيضا ، وصداقة متينة ، بينه وبين ريتا استينوفتش ٠

اما الرواية الثانية ، « **ولد فى العاصفة** » ، التى ظهرت يوم وفاته فقد كتبها استروفسكي وسحائب الحرب الكبرى

الثانية تتجمع فى الأفق . وقد اراد من ورائها ان يظهر للجيل الجديد من الشباب الروسى ، الذى تربى فى ظل المجتمع الاشتراكى ، من هم أعداؤه من الامبرياليين ، الذين يحيطون به .

يقول المؤلف فى هذا الصدد ، موضحا هدفه الحقيقى: **« لقد كتبت هذه الصفحات لئلا تفقد اى يد صغيرة شجاعتها فى المعارك القادمة اذا وثقت بنا »** .

وتستحق صلة نيكولاى استروفسكى بثورة بلاده سنة ١٩١٧ وقفة خاصة ، فقد وقف الى جانبها دون تردد ، وحاول فى أغسطس ١٩١٩ ، وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، أن ينضم الى الجيش الأحمر ، ولكنه لم يستطع لصغر سنه .

ومع هذا فقد اخذ مكانه فى معارك وطنه ، فى الحرب الأهلية ، سنة ١٩٢٤ ، وهو فى العشرين ، وجرح مرتين ، وفقد بصر احدى عينيه ، مما اضطره الى ان يمكث شهرين فى المستشفى . وأصبح عليه أن يترك الجيش ، ويخوض معارك اخرى ، من أجل ولادة العالم الجديد الذى تطلع اليه مع العمال والفلاحين .

ولأن استروفسكى كان يدرك ان الحياة توهب للمرء مرة واحدة ، لذلك كان يلح على ان تخلو تماما من الألم ، ومن الحس بالأسف على السنين الماضية ، السنين الضائعة ، ويحث المرء على أن يحيا هذه الحياه الواحدة ،

بحيث لا يتحول الماضي الى شيء شائن ، بل يبقى ناصعا .

وعندما اضطره المرض الى ملازمة الفراش ، وسط الحيطان الأربع ، بدا صراعا رهيبا ، قرر فيه أن « **يعطي للحياة معنى** » . وقد كانت هذه العزيمة الصلبة تتجه اتجاها جماهيريا عاما ، ملتزمة بالمبادىء الاشتراكية .

يكتب نيكولاى فى أحد خطاباته الى صديق ، مفصحا عن مقاومته الشجاعة للعجز والمرض : « **ولا يعني اني مقيد على فراش اني رجل مريض . هذه ليست الحقيقة . هذا كلام فارغ . انني أتمتع بصحة جيدة** » .

وتورد بعض المقالات التى كتبت عن استروفسكى نص خطاب مهم ، أرسله اليه رومان رولان ، بعد أن قرأ روايته الأولى . واظن انها خير ما يختم به هذا المقال .. يقول رومان رولان فى هذا الخطاب :

« بالنسبة الى ، فان اسمك مرادف عندى لأندر وأنقى شجاعة أدبية . انني معجب بك ، ومحب ومتحمس لك . ويمكنك أن تكون متأكدا انه على الرغم من انك عرفت أياما كثيرة عابسة فى حياتك ، فسنكون هذه الحياة منارة لآلاف عديدة من الناس .

سوف تبقى نافعا للعالم ، مثلا نبيلا لانتصار الروح على غدر النهاية » .

« المساء » ، القاهرة ، ٤ مايو ١٩٧٥ .

شـــــولوخوف

تشكلت فى الاتحاد السوفيتى لجنة على اعلى مستوى للاحتفال بالكاتب العظيم ميخائيل شوخولوف ، بمناسبة بلوغه سن الستين ، فى الرابع والعشرين من مايو القادم ٠

وميخائيل شولوخوف ، عضـو أكاديميـة العلوم فى موسكو ، والحائز على جائزة لينين ، وجائزة نوبل ، اكبر كاتب سوفيتى معـاصر ، ومن أكثر الكتاب العالميين شعبية ورواجـا ٠

ذلك ان مؤلفاته طبعت ، حسب الاحصاءات الدقيقة ، ٦٠٠ طبعة ، وتبلغ نسخها ٤٥ مليون نسخة ، وتنتشر فى ثلاثين بلدا ، عبر ٩٠ لغة ، من بينها لغتنا العربية ٠

والكلمة التالية محاولة سريعة للتعرف على الكاتب العالمى ، وعلى أعماله الروائية الذائعة ٠

ولد ميخائيل شولوخوف سنة ١٩٠٥ ، فى احدى قرى بلاد القوزاق ، على مقربة من نهر الدون ، جنوب شرق الاتحاد السوفيتى ٠

وحين نشبت الحرب الأهلية فى منطقة الدون ، بين الحرس الأحمر من جهة ، وفرسان الدون الأبيض من جهة مقابلة ، ترك شولوخوف المدرسة الثانوية سنة ١٩١٨ ، وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، والتحق باحدى فصائل التموين للحرس ، دفاعا عن ثورة بلاده الناشئة ٠

ومنطقة نهر الدون هذه ، التى لا يزال شولوخوف يمارس فيها ، الى الآن ، هوايته المفضلة ، صيد السمك والطيور ، على شاطىء بحيرة كازخستان ، هى المنطقة التى خلدها فى ملحمته التراجيدية الكبيرة « **الدون الهادىء** » ٠ وهى الرواية الوحيدة ، فى الأدب السوفيتى، التى تعانق هذه المرحلة الدقيقة من حياة القوزاقيين فى القرن العشرين ، على مدى عشر سنين ، من سنة ١٩١٢ حتى سنة ١٩٢٢ ، نعايشهم خلالها بصفاتهم وعواطفهم الخاصة ، فى الحب والغضب ، ونعايش عاداتهم ، واغانيهم الشعبية ، وازياءهم ، وتجاربهم فى السلم ، ودورهم فى الحرب الكبرى الأولى ، ورد فعل ثورة اكتوبر ١٩١٧ على نفوسهم ٠

والحق أن تسجيل وقائع هذه الحرب ، مثل أحداث شتاء ١٩٢٩ ــ ١٩٣٠ ، والحرب الكبرى الثانية ، تكاد

تكون موضوع هموم شولوخوف الرئيسية . لعمق الدلالة التي تشف عنها ، وعمق النتائج التي ترتبت عليها .

وكان شولوخوف قد جند سنة ١٩٢٠ في الجيش واتيح له ان يطوف ارض الدون . ويتشرب طبيعتها ، ثم اشتغل افترة عامل نمو بن . وشارك ، حتى سنة المجاعة ١٩٢٢ ، في طرد العصابات المغيرة على هذه المنطقة .

على ان حياته الأدبية الجادة لم تبدأ الا سنة ١٩٢٣ ، حين ظهرت في الصحف الروسية محاولاته الأولى التي كتبها في سن الثامنة عشرة ، وهي السن التي يبدأ فيها الكتاب ، عادة ، بدايتهم الحقيقية .

وقد صدر انتاج هذه المرحلة المبكرة في كتابه الأول « **حكايات على نهر الدون** » سنة ١٩٢٦ ، بعد سنة من بدء كتابة روايته الشهيرة « **الدون الهادىء** » . التي نشر الجزآن الأول والثاني منها سنة ١٩٢٨ ، والجزء الثالث سنة ١٩٢٩ . أما الجزء الرابع فلم ينشر الا سنة ١٩٤٠ ، أي بعد ١٥ سنة من تأليفها ، كما هي بذهب الناقد الأدبي ك. زيلنسكي في الفصل الذي عقده عن شولوخوف ، كتابه : « **الأدب السوفيتي : المشاكل والناس** » .

لشولوخوف ثلاثة اعمال روائية كبيرة ، تقع الأولى، « **الدون الهادىء** » ، في ثلاثة آلاف صفحة ، وهي رواية تتضافر فيها الابعاد الاجتماعية بالابعاد الطبيعية .

والتعبيرية بالواقعية . ومن الصعب تلخيصها الا اذا استطعت أن تقبض براحتيك على شلال هادر .

أما الرواية الثانية « **حرات الأرض البكر** » او « **الأراضي المستصلحة** » ـ على تباين فى ترجمة العنوان ـ فقد نشر الجزء الأول منها سنة ١٩٣٢ ، وفى ١٩٥٩ نشر جزؤها الثانى ، الذى لا يرقى فى قيمته الى مستوى الجزء الأول ، النابض بالحقيقة .

تتناول هذه الرواية ذات المسحة التاريخية الصريحة مرحلة التحول القاطعة فى حياة المجمعات الزراعية ، فى احدى قرى القوزاق ، التى اقبل عليها ، قادما من لينينجراد ، بطل الرواية سيمون دافيدوف ، وانخرط ضمن ٢٥ الف عامل ، كان عليه أن يقنعهم بدروسه بفكرة المزارع الجماعية ، حتى يرتفع الاقتصاد الروسى .

وتبلغ الصلة الحميمة بالحيوان ، التى تشبع فى جميع اعمال شولوخوف ، حد ان تجىء احدى الشخصيات فى منتصف الليل ، لكى تقول وداعا للحيوانات ، قبل أن ترحل فى صباح اليوم التالى الى المزارع الجديدة .

وتنتهى الرواية نهاية تراجيدية بمصرع البطل دافيدوف ، يبد أعداء السوفييت . وعلى نفس الشاكلة يتم مصرع ناجلنوف ، الذى كان يحلم بالعالم الثورى الآتى .

ومن النقاد من يذكر ان النماذج الاجتماعية للفلاحين رسمت ، فى هـذه الرواية ، بحيوية مدهشة . خاصـة وهى تتطلع مع تاجلنوف الى العـالم الثورى . تود أن تعيش حتى اللحظة التى تؤدى فيهـا الآلات ـ بدلا من الانسان ـ كل الأعمال الشاقة ، وينسى فيها الناس رائحة العـذاب ٠

وتشـكل الحرب الوطنيـة الكبرى ضد النازيـة الألمـانية ، التى عمل شـولوخوف اثناءها . لمدة أربـع سنين ، مراسلا حربيا على جبهات القتال ، المـادة الخام لروايته الحالية « **قاتلوا فى سبيل الوطن** » ، التى لم تتم بعد ، ولو أن التكهنات ـ مستندة الى موهبة شولوخوف ـ تومىء الى قيمتها الرائعة ، التى تبدت فى عدد قليـل من القصص القصيرة تعرضت لويلات هذه الحرب العالمية ٠

وشولوخوف من الكتاب الذين تعرضوا ، فى حياتهم الادبية ، لهجوم شـديد ، داخل بلاده وخارجيا ٠ وأول هجوم نزل عليه ، فى الداخل ، اتهامه بالذاتية ، لاهتمامه الملحوظ بحياة الفرد ومصيره ٠

ويعد هذا الاهتمام الذى اخذ على شولوخوف ، فى يقين النقد الحديث ، مصـدر قوته واصالته ، وهو الجوهر المتألق الذى يشع به انتاجه ، على اعتبـار ان الفرد هو الذى يحمل على جبينه دائما بصمات الأحداث التى تقع فى العالم الخـارجى ، الذى لا يقل قيمـة ، بالطبـع ، عند

شولوخوف ، خاصة فى تحولاته الحاسمة ، عن هذا العالم الداخلى ٠

انظر مثلا الى شخصية جريجورى ميليكوف غير المألوفة ، بطل« الدون الهادىء » . تجد انه من المستحيل على الكاتب أن يرسمها وهى تعيش سنوات الشك القاسية ، فى حالة من حالات التردد ، وتعانى اخطار الحرب والثورة ، الا بالتركيز على الجانب الذاتى . الذى بطوقه أن يبرز ، وحده ، مدى المقاومة الباسلة الشريفة للشخصية الانسانية ، وردود الفعل القوية على نفسها ، التى تبحث باصرار عن الحقيقة ــ هدف الحياة ، ومعناها الصحيح ٠

واعتقد أننا فى الشرق ، شعوب آسيا وأفريقيا ، نستطيع أن ندرك سلامة المنحى الذى ينحوه شولوخوف ، ونحن نرتكز على تراث روحى يعنى بالجانب الباطنى للنفس البشرية ٠

اما اعداء الاتحاد السوفيتى فى الخارج ، فقد استغلوا أدبه ايضا للتنديد بفشل النظام التعاونى ، الذى سقطت فيه الملكية الخاصة ، اذ تنتهى احدى قصصه ، فى الترجمة الفرنسية الناقصة ، بتكتل النساء وتمردهن على هذا النظام ٠

كما انهم اسقطوا عمدا ، فى الطبعة الانجليزية ، مائة صفحة من النص الأصلى لرواية « **حراث الأرض البكر** » تتناول انتقال القوزاقيين الى جانب لينين ، تحت قيادته

المناضلة ، والفشل الذى منى به أعداء الثورة والحركات المناهضة لها ، بحيث تبدو عقيدة شولوخوف ، أو ولاؤه السياسى على الأقل ، موضع شك كبير ، وغير تام النقاء .

وعقب صدور « **الدون الهادىء** » أثيرت أكثر من إشاعة تشكك فى صحة ملكية شولوخوف لها ، وتدعى ، لتنيل منه ومن الأدب الروسى معا ، أن كاتبها ضابط من الحرس الأبيض .

وعندما فشل هذا الادعاء زعموا أن شولوخوف ليس وحده مؤلف الرواية ، بل يشترك معه فيها كاتب وناقد مغمور ، يدعى س. غولوشيف .

الا أن كل هذه العواصف لم تستطع البتة أن تقنع موهبة ذات جذور كامنة فى باطن الأرض ، على وعى بالغ بوظيفتها ، وملكة نادرة من ملكات العصر ، على هذا الغرار من النضج والتفتح ، عرفت كيف تذوب فى حياة الفلاحين ، والعمال ، والجنود ، والصيادين ، فى حياة الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ، وكيف تعبر عن حقائقها الواقعية العارية ، المليئة بالدم والأحلام ، بأصالة وتمكن .

ورغم أن شولوخوف لا يتحدث كثيرا عن فنه ، فقد قال فى الكلمة التى ألقاها فى السويد سنة ١٩٦٥ ، عند تسلم جائزة نوبل :

« احب لكتبى ان تساعد الناس على ان يصبحوا افضل ، واكثر نقاء فى القلب ، لكى تستثار فيهم محبة الانسان ، والرغبة فى ان يصبحوا مقاتلين نشطين ، من أجل كمال الانسان ، وتقدم الانسانية » .

ثم يقول فى موضع آخر من هذه الكلمة المهمة ، موضحا مفهومه النظرى للكتابة :

« لقد رايت وارى ان واجبى ـ واجبى ككاتب ـ ان ادفع بكل ما كتبت ، وكل ما ساكتب فى المستقبل ، جزية لهؤلاء الكادحين ، هؤلاء البنائين ، هؤلاء الأبطال الذين لم يهاجموا احدا على الاطلاق . بيد انهم كانوا دائما قادرين على الدفاع عما بنوه ، وعلى الدفاع عن حريتهم ، ومجدهم وحقهم فى خلق مستقبل من محض اختيارهم » .

بوحى من هذه الرؤية يتجه أدب شولوخوف الى الانسان ، انسان هذا العصر ، معبرا ، باستيعاب شامل ، عن أسرار القلب البشرى لبنى وطنه ، وعن الروح الانسانية ، والمشاعر الانسانية ، والاقدار الانسانية لبنى وطنه ، فى صراعها مع نفسها ، وهى تمضى ـ تحت اقسى الظروف ـ على الطريق المؤدى الى الثورة ، الى الحياة الجديدة ، حيث يتكشف المؤلف ، خلال هذا الطريق ، فضائل وعيوب هذا الانسان ، انتصاره الموقوت ، وهزيمته المحتومة ، كما يتكشف علاقاته بالمجتمع ، من حوله ، فى لحظات التمخض والميلاد ، او فى لحظات الوحدة المضنية ،

وفى علاقاته بالتاريخ ، أيضا ، وارتباطه العاطفى بالطبيعة، التى لا يغيب عنه جزئية صغيرة من جزئياتها ، ان فى اللون أو الرائحة أو المذاق ، مهما دقت ، سـواء اكانت هـذه الطبيعة ماهولة بالانسان ، أم مقفرة ٠

غير أن تصـويره للطبيعـة تصـوير مقتصد ، فى موضعه ، لا يجنح الى المغالاة المبتذلة ، او التزيد العقيم ٠

يقول شولوخوف محددا مادة أدبه : ((**أردت ان اكتب عن الناس المحيطين بى ، الذين ولدت فى كنفهم ، والذين أعرفهم جيدا**)) ٠

ان الحيـاة السوفيتية المتحـركة المتصادمة ، بكل مظاهرها وآفاقها ، الوادعة والفاجعة ، الناعمة والمريرة ، الزاخرة بالجمال والخسة فى آن واحد ، التى يقف الكاتب فى قلبهـا ، ونعيش قسماتهـا المميزة مع الشخصـيات القوزاقية ، ممتلة فى أكثر من جيل ، تتراءى دائما ، فى اعمال شولوخوف ، عبر صياغة رصينة متقنة ، شـديدة الاحكام ، مليئة بالصـور والتشابيه الشـعرية ، حفيـة بالخيال ، ومنسوجة بلغة فنية ساطعة ، قريبة جدا من لغة الشعب ، الذى لم يبتعد عنه الكاتب أبدا ٠

ولكنها ، فى نفس الوقت ، لغة رفيعة منتقاة ، ينصهر المؤلف طويلا فى خلقها ، ثم يكتب ببطء ، وعلى مهل ، حتى يصـل بانتاجه الى أقصى ما تطيقه أدواته الفنيـة من تعبير ٠

ويتفق ادب شولوخوف مع ادب العمالقة الروس من كتاب القرن الماضي فى أشياء ، ويختلف عنهم فى اشياء ٠

ولعل اهم نقط الاتفاق هـذه الصيغة الكلاسيكية التقليدية للرواية فى بنائها المعمارى ، فى الحس الاخـلاقى النسـائع ، الذى يشف عنه العمل الأدبى برمته ، دون أى قدر من التحيز ، قد يودى بالعمل الفنى من أساسه ٠

ولعل اهم نقط الخلاف ، افتقاد البعد الميتافيزيقى ، الذى يسربل اعمال كاتب سابق مثل دوستويفسكى ، كان يعتبره طوق النجاة للمعذبين ٠

ان شولوخوف كاتب واقعي حسى ، كاتب محلى ، بالمعنى الحرفى للمصطلح ، مرتبط بالواقع وحده ، يقف على تخومه ، ويملأ يديه منه ، ولا يتخطاه ٠

ومع هذا فهو كاتب انسانى بكل المقاييس ، يغمس قلمه فى الأدب الشعبى لبلاده ، منلما يغمسه فى تيار الواقع المعاصر ، بكل ما يزخر به من مضض وأحلام عريضة ٠

وحسبنا هـذه العطايا الباهرة التى نخرج بها مع الكاتب ، فى أعماله الأدبيـة الرائعة ، لكى نقبل عليها ، ونتمتع بها ، المرة بعد المرة ٠

« المساء » ، القاهرة : ٦ ابريل ١٩٧٥ ٠

جـــورج شـــحادة

ولد فى الاســكندرية سنــة ١٩٠٧ ، واتم تعليمــه الثانوى والجامعى فى بيروت ، ثم هاجر الى باريس واصبح من أعمــدة المسرح الفرنسى المعــاصر ، يذكر اســمه مع أعلام مسرح الطليعة •

بدأ حياته شاعرا سيرياليا قبل ان يتجه بكل ثقله الفكرى والفنى الى المسرح الشعرى الذى يعتبر الشــعر فيه قيمة اساسية تنشد لذاتها •

قــدم ســنة ١٩٥١ « السـيد بوبل » وفى ١٩٥٤ « امســية الامثــال » وفى ١٩٥٦ « حــكاية ماسكو » • والمسرحيتان الأخيرتان قام باخراجهمــا للمسرح جان لوى بارو • وفى سنة ١٩٥٩ قــدم « ازهــار البنفسج » وفى الستينات « الرحيل » و « مهاجر بريسبان » •

وتعد « مهاجر بريسبان » أشهر اعماله · وقد ترجمها الى اللغة العربية فى سوريا رفيق الصبان ، وفى مصر فتحى العشرى ·

ومسرح جورج شحادة يتحرك بأفكاره الانسانية عبر غلالة من الرمز ، معبرا عن مأساة الانسان المعاصر الذى يستبد به الملل والخوف والحاجة الى الدرجة التى يتنكب فيها الطريق ·

وبسبب افتقاد هذا الانسان المعاصر للمعنى فى حاضره لا يملك الا ان يسترجع ذكريات الماضى ، أو يرف بأحلام المستقبل المجهضة ·· مهاجرا للبحث عن هذا المعنى ·

ولذلك يحيا انسان جورج شحادة فى حالة غربة دائمة · وفى اسفاره يتعرض لأحداث ، كما يتعرض العالم الساكن من حوله لأحداث ، ننشأ نتيجة لسوء الفهم أو سوء الحظ ، ثم تحتدم بالعنف الى الحد الأقصى ·

ولأن جورج شحادة يضع نصب عينيه الشعر واللهو والمرح ، كما يقرر نصا ، نجد البشر فى مسرحه يتحدثون الى الحيوانات ، مثل حديث الحوذى للحصان ، كما تتحدث الطيور مثل الببغاء عن البشر ، وتفضح جرائمهم القديمة التى واها الزمن ، وتتبدى الروابط بين الانسان والأشياء الجامدة ·

والصمت فى مسرحه ليس أقل تأثيرا من الكلمة الشاعرية ، المتحررة من ماضيها ، التى توحى بالمعنى .

ورغم أن مسرح جورج شحادة مسرح طليعى فى مبناه، ينتسب الى حركات التجديد فى المسرح المعاصر ، الا انه فى الرؤية الموضوعية وربما الدلالة المباشرة ، أقرب الى المسارح الكلاسيكية التى تناولت حياة أو مآسى الفلاحين بخاصة ، فى قسماتها العامة ، وفى بعدها الأخلاقى .

والحدث الواحد فى هذا المسرح هو الذى يكشف معدن الشخصيات المتفاوتة التى تتراوح بين الخير والشر ، صعودا الى الصفاء ، وهبوطا الى الدرك . وهو الذى يجعلها تتبدى لنا تحت تأثيرها المباشر غنية بالتجربة كأنها كما تقول احدى الشخصيات :

ـ قرأت آلاف الكتب .

على ان الحياة فى نظر جورج شحادة . القادم من الشرق الى الغرب ، ليست اثما وشرا محضا . وانما هى ايضا طهر كامن ووفاء وطيد على نحو ما يتأكد المشاهد لهذه المسرحيات التى تتخذ ساحاتها فى القرى الصغيرة الهادئة ، فى بيئة الفلاحين ، وفى الجزر ، وفى عرض البحار، وقمم الجبال .

« المساء » ، القاهرة ، ٢٠ نوفمبر ١٩٨٠ .

البرتـــو موراڤيـــا

دعت وزارة الثقافـة المصريـة الكـاتب العـالمى البرتو موراڤيا لحضـور معرض القاهرة الدولى العشرين للكتاب ، الذى اقيم فى أرض المعـارض بمدينـة نصر ، فيما بين ٢٦ يناير ـ ٨ فبراير ١٩٨٨ .

والبرتو موراڤيا كاتب ايطالى تضرب جذوره فى الثقافة الاوربية . بدأ كتابة الرواية فى سن السادسـة عشرة . وله انتاج غزير يتسم بالوعى والفاعلية ، يقرأ فى جميـع انحاء العالم . صور فى بعضه ويلات الحرب ، وما تخلفـه احداثها فى النفوس من شر ، يحل محل ما فطرت عليـه من خـير ، وتغدو فيه شخصـيات النساء والرجـال حطاما ووحوشا ضاريـة ، حين تهبط الحياة او يهبط المجتمـع المحيط بهـا ، من التسـامى والحرية ، الى الانحطـاط ، والضرورة ، والتفسخ .

ان انفجار العالم الخارجي وجنونه يؤدي ، في نظر مورافيا ، الى انطلاق العالم الداخلي بلا قيود ، وفوق كل السدود .

كان اللقاء الأول مع مورافيا في مؤتمر صحفي عقد في فندق ماريوت ، أجاب فيه على مجموعة من الأسئلة وجهها اليه عدد من الكتاب والصحفيين ، تعرض فيها مورافيا للعالم العربي ، موضحا ان مشكلته تتمثل في تعدد مستوياته الثقافية ، وان القضية الفلسطينية التي اشترك مؤخرا مع ياسر عرفات في مؤتمر في الكويت حولها ، تبدو في حاضرها ، كما يقول ، بلا حل ، على حين انه يرى امكان حلها في المستقبل ، واقامة الدولة الفلسطينية ، في اطار أن تتعايش الأجناس والديانات المختلفة ، على نحو ما تتعايش في أوربا .

ذلك أن مورافيا ، من حيث المبدأ ، يقف ضد العنف واستخدام القوة ، ويتمنى أن تحل مشاكل العالم وصراعاته عن طريق الاقناع .

وحتى لا يمضي مورافيا في حديث السياسة ذكر انه ليس سياسيا ، فالأدب شيء والسياسة شيء آخر . وكرر هذا القول في اللقاء الثاني الذي عقد معه في معرض الكتاب، موضحا الفرق بين السياسي الذي يبحث عن النسبي والممكن، والفنان الذي يبحث عن المطلق والمتخيل ، ولو أنه يرى —

على الأقل بالنسبة له كاديب وعاشق للأدب ـ أن الأدب اكثر أهمية من السياسة ٠

ومع هذا فيمكن للروائى أن يستلهم السياسة كما يستلهم الحب وغيره ٠ ولكن ليس واجبا عليه أن يفعل ذلك ٠

على الساسة وحدهم يقع عبء الفعل ، أما الفنان فكل ما يفعله أن يدلى بشهادته على العصر ، لأنه لا يعتقد ان للأدب وظيفة فى حل مشاكل البشرية ، أو أن له رسالة تتجاوز حد « تطهير » المتلقين بالمفهوم اليونانى للكلمة ٠

أما من اراد الحكمة فليذهب الى الفلاسفة او رجال الدين ٠

ووصف مورافيا الروايات السياسية بانها روايات سيئة فنيا ، كما انها تعتبر ايضا دعاية سيئة ٠ والأفضل منها المقال او الخطاب السياسى ، لأنه المجال الطبيعى لذلك ٠

وأخذ مورافيا على السياسيين عدم احتفالهم بما يقوله الأدباء ٠ وضرب مثلا باتفاقية ريجان ـ جورباتشوف لمنع القنابل الذرية ، وهى اتفاقية كان يمكن ألا تتم اصلا لو أن السياسيين استمعوا الى الأدباء الذين حذروا منها ٠

ورغم ذلك فمورافيا ضد الالتزام ، لأنه يفرض على

To: www.al-mostafa.com

الكتاب الولاء لأشياء معينة ، بينما يرى أن الكتـاب يجب ان يظلوا أحرارا ٠

وعن الحركة الأدبية المعاصرة فى ايطاليا . ذكر مورافيا انها جيدة . وأن هنـاك عودة مرة اخرى الى الاهتمـام بالفن الروائى ، أكثر مما هو فى فرنسا أو انجلترا ٠

ولكنه اعتذر عن ايراد أسماء كتاب ايطاليا الجدد ، لأنهم يتغيرون من وقت الى آخر ، حيث ان معظمهم لايزال فى مرحلة التكوين ٠ وأكد مورافيا ان الرواية تحظى باهتمام كبير ، سـواء من قبـل الجمهور القارىء ، أو من قبـل الكتاب ٠ وتعد الكتب الروائية التى تطبع وتنشر هـذه الأيام فى ايطاليا أكثر من مثيلها عندما بدأ الكتابة ٠

بعد ذلك دافع مورافيـا عن شخصياته التى توصف بأنها سلبية ، قائلا انها تظهر ردود فعلها بأفعال اخرى ٠ وهـذا دليل على انها تتحرك ، وبالتـالى فهى ليسـت سلبيـة ٠

كما أوضح مورافيا أن رواياته لها وجهـان ، وجـه شخصى خاص ، ووجه اجتماعى عام ، أو مشكلة فردية . ومشكلة اجتماعية ٠ غير أن المشاكل الفردية الخاصـة ، فى يقين مورافيـا ، هى الأكثر اهمية ، لأن مسئولياتها فى النهاية تكون على الفرد ، بينما لا تتحمل المجتمعات مثل هذه المسئولية ٠

من هنا يهتم الروائى بالأفراد • والفنان الحقيقى هو الذى يلتقط الأشياء التى قد تبدو بسيطة ، ويصنع منها شيئا كبيرا •

وعقد مورافيا مقارنة بين روايته « **زمن اللامبالاة** » ورواية « **الاخوة كرامازوف** » لدوستويفسكى ، اوضح فيها انه اذا كانت المشكلة فى رواية دوستوفيسكى انه اذا لم يكن الله موجودا فكل شىء مباح فى العالم ، فانه فى روايته يطرح نفس الفكرة ، ولكن بشكل عكسى ، يقول انه اذا لم يكن الله موجودا فلا شىء يمكن أن يحدث •

ان البطل فى رواية مورافيا ، يسعى لاغتيال أمه • سوى ان المسدس فى يده لا ينطلق ، لأن الدافع المعنوى لم يكتمل •

ويرى مورافيا ان مثل هذه الشخصية ، التى تعجز عن ارتكاب جريمة من هذا النوع ، ليست سلبية ، لأن المنتصرين فى العالم لبسوا هتلر أو موسوليني •

ولكل كاتب مفتاحه الخاص الذى يفتح به ابواب الحقيقة • ويضرب مورافيا مثلا ببلزاك ، الذى يعتبر المال مفتاحه الى الحب والفن والسياسة •

وفى هذا القرن الذى تصاعد فيه الاهتمام بالجنس والعلاقات العاطفية ، عبر ابحاث التحليل النفسى التى مضى عليها كعلم نصف قرن ، فان مورافيا يعتبر انتاجه جزءا

من الاكتشافات الموضوعية فى هـذا المجال من حياتنا ، يتقصى به جوانب الشخصـية المختلفة ، فى علاقاتهـا مع الشخصيات الأخرى ، وفى تشابكها مع القيم الاجتماعيـة . دون أن ينورط فى اباحية فجة ٠

ويذكر مورافيا فى الأحاديث التى أجريت معه فى بلاده ان فرويد وماركس يعتبران اكبر مفسرين للواقع المعاصر، لا غنى للروائى عن استخدام المعرفة التى قدمها كل منهما ، ولن يـكون الانسـان ابن عصره الا اذا كان فرويديـا وماركسيا ، من غير ان يفقد ذاته ٠

وارتباط مصير الفرد بالمجتمع او بالطبقة التى ينتمى اليها ، فى عصرنا الحـديث ، معنى اساسى من المعانى التى نجدها فى أدب مورافيا ، منذ اعماله الأولى ، كما نجد معانى السـأم ، والقلق ، والاحتقـار ، واللامبالاة ، والوحـدة او العزلة الانسانية ، والانغلاق ، والانفصـام بين روح الانسان وجسده ، أو بين عقله وغريزته ٠٠ وقد اكتشف مورافيا ان هذا الانفصام ليس وليد عصرنا ، وانما كان فى جميع الأزمان ، وفى كل الأمكنة ٠

ولا يزال مورافيا ، رغم انه تجـاوز الثمـانين من عمره ، يحتفظ بملكاته الابداعية . لم يتوقف عن الكتابة ٠ وقد انتهى مؤخرا من كتابـة رواية عنوانها « **رحـلة الى روما** » ، وقصة قصيرة تحمل عنوان « **فيلا يوم الجمعة** » .

ستنشران خلال هـذه السنة . كما أنه يتابع فى نفس الوقت الكتابة للمسرح الذى كان دائما من الفنون التى تجذبـه .

وردا على الأسئلة المتصلة بالمرأة ، ودورها البارز فى أدبه ، قال مورافيا ان المرأة احدى حقائق الحياة . وهى تمثل نصف البشرية . واضـاف أن العلاقـة بين الرجل والمرأة هى الشىء الوحيد فى الواقع الذى يهتم به الأدب ، وهـذه العلاقة تتراوح بين الحب ، والعلاقة الأسرية .

ويعترف مورافيا بأنه شخصيا مدين للمرأة بالكثير . فهى التى علمته ، ويتمنى أن تكون المرأة ، بدورها ، مدينة له بشىء . فقد تكلم عنها كثيرا ، واظهر فى كتاباته الكثير من خصائصها . وهو يراها محبة للسلام ، واحيانا تكون اكثر حيوية ونشاطا وذكاء من الرجل ، كمـا انها تمثل طبقة صاعدة .

وتعرض مورافيا لعاداته فى الكتابة ، فذكر انه يكتب فى اى مكان يتوفر فيه الهدوء ، بعد ان اصبحت روما مليئة بالضوضـاء .

واشار مورافيـا الى أن جميـع رواياته قدمت فى السينما . وهو كناقد سينمائى يكتب فى احدى المجـلات الايطـالية . ويؤكد أنه ليست هنـاك علاقـة بين الأدب

والسينما ، ولا يجب أن تكون • فالأدب شيء والسينما شيء مستقل • واذا أراد المخرج أن يكون صادقا مع العمل الأصلي ، فقد تميزه ، والأفضل أن يكون متميزا وامينا في طرح انطباعاته على العمل السينمائي ، ولو ابتعد عن الأصل •

ومن القضايا التي اثيرت في لقاء مورافيا برواد معرض القاهرة الدولي للكتاب ، وهي قضايا عديدة ، قضية تاريخ الرواية ، التي بدأت في الملاحم القديمة كحكايات شفوية وصوتية ، أي بالكلام وليس بالكتابة • ولازالت هذه الصفة ، صفة الصوت التي تضبطها الأذن ، ملازمة للرواية الى اليوم ، كما يختزن الجنين في بطن أمه كل مراحل التطور التي مر بها الانسان ، وأنه شخصيا بدأ الرواية بروايتها بالكلام ، ثم عندما اخذ يكتب كان يعيد قراءة ما يكتبه بصوت مرتفع ، حتى يسمعه بأذنه ، لأن للأسلوب الأدبي صوته أو جرسه الموسيقي ، وبعد ذلك بدأ يقرأ الرواية بعينيه فقط ، دون صوت •

وتعتمد الرواية ، عند مورافيا ، على البناء الفني ، وعلى الشخصيات ، والايقاع • ويمكن لهذا الايقاع أن يكون بسيطا أو مركبا ، يبدأ بطيئا ثم يتحول الى السرعة• والرواية يمكن أن تترجم • ولا يمكن ترجمة القصيدة •

وحول مدى التزام الروائي بالحقائق التاريخية ، ذكر مورافيا ان للروائي الحق كل الحق في التصرف فيها•

واختتم مورافيا لقاءه بالحديث عن زوجاته الثلاث ٠ الأولى الساموراتي التي قضى معها خمسا وعشرين سنة ، وصفها بانها روائية شهيرة ، على درجة كبيرة من الموهبة ، وهي نتـاج للرمزية الروسية ٠ والثانية داتشيا ماراييني، شاعرة وروائية وكاتبـة مسرحية ومخرجة ايضـا ٠ كان لها دورها القيادى فى الحركة النسائية فى ايطاليا ، وامضى مورافيا معها ثماني عشرة سنة ٠ والثالثة كارمن مبرا ، مضى على زواجهما سبع سنين ، وهي روائية موهوبة ، تمتلك أدوات الرواية الحديثة ، كمـا تتمتع بالقدرة على الكتابة التلقائية ، والاجادة فى وصف المجتمع ٠

« القاهرة » ، القاهرة ، مارس ١٩٨٨ ٠

مـاكس فـريش

نظمت الثقافة الجمـاهيرية فى القـاهرة ، فى الواحد والعشرين من شـهر ديسمبر المـاضى ، لقـاء مع الكاتب المسرحى السـويسرى مـاكس فـريش ، عقـد فى مسرح الجمهورية ، أثناء زيارة الكاتب العالمى للعاصـمة العربية ، بدعوة من معهد جوته الألمـانى ، فى عيده الفضى •

وبعد اللقاء ، عرض أمـام ماكس فريش مشهد من مسرحية ((مشعلو الحرائق)) ، التى يقدمها مسرح الطليعة له فى منتصف الشهر الجارى •

ترجم المسرحية عن الألمـانية الدكتور مصطفى ماهر ، وأعدها بالعامية ماهر عبد الحميد •

وماكس فريش فى الثالثة والسبعين من عمره • ولد فى مدينة زيورخ بسويسرا سـنة ١٩١١ • بدأ الكتابـة

للمسرح فى سن السادسة عشرة ، تحت تاثير معاناة البشرية لويلات الحرب العالمية الأولى ، والخطر الذى يحدق بهـا بشكل مستمر ، وان لم يتمكن من نشر اعماله الا فى سن الواحدة والعشرين ٠

درس الهندسة المعمارية بجامعة زيورخ وقام سنة ١٩٤٩ بوضع تخطيط معمارى شامل للمدينة التى ولد وعاش فيها ٠

لكنه لم يلبث بعد ذلك ان انصرف تماما عن الهندسة، وانجه ، بكل ثقله ، الى الابداع الأدبى ٠

ولا يقتصر انتاج ماكس فريش على المسرح ، وانما يشمل الرواية ، وادب الرحلات ٠ ويؤلف هذا الانتاج المتنوع ٣٧ كتابا ، نال ماكس فريش على بعضها مجموعة من الجوائز ، آخرها جائزة السلام للمكتبات الألمانية سنة ١٩٧٦ ٠

ارتبط ماكس فريش فترة من حياته المسرحية بالكاتب برنولدت بريخت ٠ ويفصح هذا الارتباط عن الجانب الانسانى الملتزم فى أدب ماكس فريش ٠ فهو يرى ان للأدب والفن رسالة ٠ وتتمثل رسالته فى تحقيق التغيير ٠ وفى رايه ان واقعنا المعاصر لا يعدو أن يكون أحلام المبدعين الذين عاشوا فى الماضى ، وأرادوا للحياة أن تسير على نهج مغاير ٠

ان الأكذوبة التى ينهض عليهـا الابداع ، هى ، فى يقينه ، الحقيقة الوحيدة الجادة فى هذا العالم التى تكشف كل زيف ٠

وفى الكلمة التى ألقاها ماكس فريش ، فى بدايـة اللقاء ، ذكر انه ليس كاتبا المـانيا ، ينحرك فى نطـاق اللغـة الألمـانية وحدها ، كمـا انه ليس كاتبـا عالميـا بالمعنى المتعـارف عليه ، ولكنه كاتب أوروبى ٠ وقـد شعر بهذه الصفة بوضـوح أثناء اقامته فى أمريكا ٠

وعن حرق مؤلفاته فى مستهل حياتـه الأدبيـة ، وبالتحديد فى سن الخامسـة والعشرين ، وتوقفـه عن الكتابة سنوات ، ذكر ماكس فريش ان النار ، كوسيلة من وسائل التطهر ، تعد فكرة باهرة ، وهو ، شخصيا ، يخـاف منها ، ولكنـه يحبها ٠ ويرى أن الانسان مدعو دائما الى حرق أوراقه القديمة ، حتى يتحقق له التطهر ٠

ولا يزال ماكس فريش الى اليوم يذكر الرحـلة اليومية الشاقـة التى كان يقطعهـا الى الغابة المحيطـة بمسكنه ، منذ ما يقرب من نصف قرن ، ليحرق مؤلفاته٠

وبالنسبة الى اتجاهه الفنى الذى يعبر عنه نفى ماكس فريش أى انتمـاء لكتـاب العبث واللامعقول ، وصرح بأنه يشعر باقتراب اشد الى بريخت الذى يكتب المسرح بعقلانيـة شديدة ، ويخاطب العقل ٠

ومما قاله ماكس فريش فى لقائه بالمثقفين المصريين :

ـ بدأت علاقتى ببريخت مبكرة جدا ، وكانت تربطنى به صلة شخصية . كنت ما زلت مبتدئا ، وكان هو أستاذا كبيرا . أعجبت به من ناحية كتابة قصص رمزية ، وهذا هو المنهج الذى اخترته لنفسى ، وتروق لى فكرة المسرح الملحمى نظريا . ولكنها لا توافق مزاجى الفنى .

واذا اردتم ان أحدد لكم العامل المشترك بينى وبين بريخت ، فهو كتابة المسرح من أجل المجتمع ، وذلك من خلال معالجة القضايا السياسية . ولا اعتقد ان مهمة المسرح هى الترفيه .

وتحدث ماكس فريش عن علاقته بخشبة المسرح قائلا انه يحب حضور بروفات مسرحياته ، لأنه يشعر ان العمل المسرحى ، فى هذه البروفات ، يتخلق أمامه ، سيئا فتميئا ، ويكتسب حياته الكاملة .

وعلى الرغم من أن ماكس فريش لم يكن مجهولا تماما بالنسبة للثقافة العربية ، الا ان معرفتنا به ، من خلال ما كتب عنه فى مجلة « المسرح » المصرية ، كانت تقدمه لنا على انه كاتب من كتاب العبث واللامعقول

(راجعوا ترجمة وتقديم انيس منصور لمسرحية « الفاس » بالعدد الرابع والعشرين من هذه المجلة ، ديسمبر سنة ١٩٦٥) ٠

والصحيح ان ماكس فريش ، كما أعلن بنفسه فى القاهرة ، لا يمت لهذا الاتجاه العدمى المتشائم ٠ ولعل صلته الشخصية الحميمة ببريخت ، التى يومىء اليها بتقدير بالغ ، تساعدنا على تجنب الخطأ فى تحديد انتمائه ، فى السياق الاجتماعى والتاريخى الذى يعاصره٠

انه كاتب اشتراكى ، ديمقراطى ، مؤمن بالسلام ، ولا يجد للبشرية خسارا غيره ٠ يكتب المسرح من اجل المجتمع ، ويعالج فى اعماله القضايا السياسية من خلال القصة الرمزية ، التى تحتمل تفاسير شتى الى حد التناقض ٠

الا أن هذا التعدد فى المعنى ــ الذى يدل على خصوبة الموهبة ونضج الفكر ــ لا يطمس الدلالة الانسانية المحددة ، الداخلية والخارجية ، التى يعبر عنها كل عمل من اعماله التى تبلغ ٣٧ كتابا ، ما بين المسرحية ، والرواية ، وأدب الرحلات ٠

ولو اننا طبقنا هذا التوجه الفنى على مسرحية « **مشعلو الحرائق** » التى يشاهدها الجمهور فى العاصمة ،

فانها تقول ، بأجلى ، ان المجتمع المؤسس على كذبة لابد من احراقه ، وسوف يحرق ان آجلا او عاجلا ، وايا كان النظام القائم فيه ، سواء اكان اشتراكيا ام راسماليا ٠

وفى راى ماكس فريش ان الكوارث تنزل بالبشرية لان الناس تقف ازاءها ، عادة ، مكتوفة الأيدى ، لا تهب للدفاع عن نفسها وعن معتقداتها ، الا بعد ان تكون الجريمة قد وقعت بالفعل ، ونفذ السهم من القوس ، ولم يعد من الممكن تدارك الأمر بأية حال من الأحوال ٠

والزمن الواقعى الذى يقدمه ماكس فريش ، على لسان الكورس ، هو عربة المطافىء ، التى تصل متاخرة دائما الى مكان الحريق ، بعد أن تكون النار قد أتت على كل شيء ٠

« الأنوار » ، بيروت ، ٦ يناير ١٩٨٤ ٠

آرثـــر ميـــللر

زار القاهرة ، خلال النصف الأول من شهر فبراير الحالي ، الكاتب الأمريكي آرثر ميللر (١٧ أكتوبر ١٩١٥) بدعوة خاصـة من الأمير صدر الدين خان ، مدير ادارة اغاثة اللاجئين فى الأمم المتحدة ، وكانت فى صحبة ميللر زوجته النمساوية المصـورة انجي يورغ ، والكاتب وليم ستيرين •

وعقب وصـول ميللر الى القاهرة ، عقد فى فندق المريديان لقاء مع الكتاب والصحفيين المصريين • ثم عقد لقاء آخر معهم بعد أن طـاف ببلادنا فى رحلة نيلية ، وشاهد المناطق الأثرية فى الأقصر وأسوان • وأجرى معه التليفزيون المصرى حديثـا موجزا عن حياته ومسرحه ، اثناء عرض مسرحيـة ((كلهم أبنائى)) ، التى تعد ، مع

« وفاة بائع متجول » و « مشهد من الجسر » ، من دور اعماله المسرحية ٠

ومن جملة هذه الأحاديث التى أدلى بها ميللر فى القاهرة ، يتأكد اتجاهه الى المجتمع ، ووعيه بما يعتمل فيه من قوى متناقضـــة ٠

ولعل تأثره بالكاتب المسرحى ابسن من جهـــة ، وبرواية « **الاخوة كرامازوف** » لدوستويفسكى ، من جهة اخرى ، ما يشف عن جانب اساسى فى مكوناته الثقافية ، التى افضت الى هـــذا الاتجـــاه ، واعنى به الجمع ، فى انتاجه ، بين الوضع الاجتماعى للشخصيات ، والحـــالة النفسية لهم ٠

يرى ميللر ان المسرح ، بطبيعته ، فن اجتماعى ، لانه يعبر عن ناس يعيشون فى مجتمع ٠

وفى رايه ان المجتمع ، طالمـــا يعـــانى من الأوضـــاع الظالمـــة ، ومن عدم العدالة ، فانه يتعين على الدراما ان تتحدد وظيفتها داخل الاطار الاجتماعى ٠

وبهذا الموقف لا يضرب ميللر فى آفاق التجريد ، او العبث ، او اللامعقول ٠٠ تلك التيـــارات المحدثة ، التى عصفت بكل المفـــاهيم الكلاسيكيـــة فى الفن ، التى تنهض على التناسق والوضوح ٠

وأمام الاتهام الذى ذكر من أن مسرح ميللر لا يعدو نطاق العائلة ، قال :

ـ لو كانت كل أعمالى دراما عائلية ، كما هو مفهوم من السؤال ، لما وصلت الى مصر . ان مسرحى أشمل من هذا . كما ان لى رواية مأساوية لا تتعلق بدراما العائلة . ومع هذا فانى اعتبر « **أوديب ملكا** » لسوفوكليس دراما عائلية .

ويقصد ميللر ، بذلك ، ان « **أوديب ملكا** » ، والمسرح الاغريقى برمته ، انما يخوض مشكلة الفرد والمجتمع . وهذا المسرح هو الذى يشكل التيار الرئيسى ـ لا الروافد الفرعية ـ فى المسرح منذ فجر التاريخ .

ولأن الشكل أو التكنيك ، فى أى عمل فنى ، يمثل القالب الذى لا ينهض بدونه أى محتوى أو مضمون ، سئل آرثر ميللر فى القاهرة عن سر اهتمامه بتغيير التكنيك فى أعماله ، فأجاب بأن هذا يرجع الى انه يضع الانسان فى مكانه من العالم المتغير .

ولا يجد ميللر تعارضا بين البعد الاجتماعى والبعد النفسى فى التناول . فمع أن كل مسرحية من مسرحياته ـ هكذا يرى ـ مؤسسة على حيرة شخصية ، الا انها تتعلق دائما بمجموعات كبيرة من البشر ، فى عالمنا المعاصر ، ولا تعبر فقط عن مشاعر شخصية .

وعن علاقة آرثر ميللر ، ككاتب مسرحى ، بالمخرج ايليا كازان ، ذكر انه تجمعه به علاقة حميمة ، ووحدة فى الرؤيـة ٠

واعتقد أن هذه الوحدة فى الرؤية هى التى تتيح للمخرج أن يعبر تعبيرا دقيقا عن النص ، ويستخرج كل الدلالات التى ينطوى عليهـا ، فلا يمضى الاخـراج فى اتجاه ، على حين ان النص يتحرك فى اتجاه آخر ٠

كذلك سئل ميللر عما اذا كان قد توقف حقا عن الكتابة فى السنوات العشر الماضية ، التى لم يطبع له فيها شىء ، فأوضح انه لم يتوقف أبدا عن الكتابـة ، بل انه كتب كثيرا فى هـذه السنين ، ولكنه توقف فقط عن النشر ٠ وهو الآن بسبيل نشر ما لديه من كتابات ٠

وهذا درس ثمين للكتاب العرب ، الذين يسرعون بنشر كل كلمة تكتب ، بمجرد وضع القلم ، وقبل ان يجف المداد ، دون اعمال النظر فيما يمكن أن تضيفـه هـذه الكلمات الى الثقافة المعاصرة ٠

وبخصوص عدم اتجاه ميللر الى الأساطير فى مسرحه، أجـاب انه ليس فى تاريخ أمريكا أسـاطير بحيث يمـكن استلهامها ٠ ذلك انها ــ كما هو معروف ــ دولة حديثة ، وأكد أنه يتجه بمسرحه الى المجتمع المعاصر ، من خـلال الاهتمام بالانسان والبيئة ٠

وغنى عن البيان أن هـذا المجتمع جزء من الانسانية كلهـا ٠

وعن تجربته المسرحيـة الخاصـة ذكر ميللر أن مسرحه ينتمى الى الاتجاه التعبيرى ، وأن العلاقات الأسرية لا تمثل فى الحقيقة الا جزءا يسيرا ، أو بعدا واحدا ، من مسرحه الاجتمـاعى ٠ بل انه يشعر أنه استنفد هـذا الجزء ، واصبح اهتمامه منصبا على القضايا الاجتماعيـة التى تخاطب الانسـان بعامة ، على غرار كـتاب القرن التاسع عشر ٠

الا أن هـذه القضايا العامة ـ كما اكد ميللر ـ تؤثر بدورها فى العلاقات الأسرية ، لأنها تمس الأسرة ، للتداخل بينهما ، فضلا عن أن الأسرة ، كافراد وعلاقات، تجسد المجتمع فى صـورته المصغرة ٠

وتنبع هذه الأفكار من اعتقاد ميللر الواضـح ان الانسانية تنتمى الى أبوة واحدة ، وتعيش على مسرح تاريخى واحد ، شاسـع جدا ، ساحته هى ساحـة العالم كله ، وتمثل فيه ، بلا جمهور مشاهد ، فرقة واحدة ، هى الجنس البشرى ، ولو أن الصمت يتهددها من كل جانب٠

وبحكم هذا الطابع المميز للفعل والفكر البشريين ، يرتبط المجتمع الانسانى برباط واحد وثيق ، يعبر عنه المسرح كفن عالمى ٠

ومن الأسئلة التقليدية التي طرحت على ميللر سؤال عن طريقته فى الكتابة ، وهل هى حرفة أم هواية ، وهل تتم فى أى وقت يشاء ، أم تتقيد بفترة معينة . وتخضع للوازم أو « طقوس » خاصة ؟

أجاب ميللر بأن الكتابة بالنسبة اليه هواية وليست حرفة ، وأنه يكتب فى الفترة الصباحية حتى الظهر ، أى من الساعة التامنة الى الساعة الواحدة ، الا أن الكتابة تتوقف لديه على وجود الفكرة ، وأنه يخضع فى التأليف للشخصيات التى يخلقها .

ولعل أهم ما قاله ميللر اشارته الخاطفة الى حرصه على ان يشعر أبطاله بالذنب نتيجة ما اقترفوا من أخطاء. ولكنه لم يستطع أن يضع تفسيرا لذلك . وأعتقد أن هذا التفسير لا يخرج عن حسه الاخلاقى ازاء المسئولية الفردية . ووعى الشخصيات بالظروف الموضوعية المتحركة التى تعيش فيها .

كذلك سئل ميللر عن السبب فى أنه يعتبر هذه المسرحية أو تلك أفضل اعماله ، فأجاب أيضا بأنه لا يعرف هذا السبب بالضبط .

ولأن ميللر يجمع فى الكتابة بين المسرح ، والرواية ، والقصة ، والمقال ، فضلا عن أنه بدأ حياته بكتابة التمثيليات الاذاعية ، فقد سئل عن مدى استجابته الى هذه الأشكال المتنوعة ، فأجاب :

ـ انني أشعر براحة أكثر فى الكتابة للمسرح • لكننى فى الوقت نفسه أحب كتابة القصة القصيرة ، ولى مجموعة قصص عنوانها « **لم اعد احتاج اليك** » •

وفى كل اللقاءات التى تمت مع آرثر ميللر ، كان يواجه دائما بالسؤال الخاص بزوجته السابقة ، مارلين مونرو ، التى ماتت منتحرة . بعد تسع سنين من زواجهما، وهل هى حقا بطلة مسرحيته « **بعد السقوط** » ، فنفى مبدأ التطابق التام بين الشخصية الفنية والشخصية الحقيقية . وان كانت كل أعماله الفنية مبنية على خبرات شخصية •

أما مسرحية « **كلهم ابنائى** » ، التى عرضها التليفزيون المصرى ، فقد كتبها ميللر سنة ١٩٤٧ ، أى منذ ٣٤ سنة ، وقد نالت جائزة نقاد المسرح وغيرها • ويتناول فيها الكاتب القيم الاجتماعية والخلقية بين جيل الآباء ، وجيل الأبناء • ومسئولية الانسان أمام الآخرين فى حلبة المجتمع ، من أجل الحصول على مكان له •

انها تدين تجار السلاح ، الذين يقدمون للجيش قطعا مشروخة ، أخفيت شروخها بالطلاء ، غير مطابقة للمواصفات ، من أجل الاثراء الفاحش ، ولو أدى ذلك الى موت جنود الوطن ، الذين يدافعون عنهم •

وحتى تبلغ الجريمة أقصى درجاتها ، يقتل ابن

التاجر ايضـا مع سائر الجنود الذين استخدموا هـذه الأسـلحة ٠

من هنا يجيء يقين الزوجة ، الأم ، وتمسكها بأن ابنها لم يقتل فى الحرب ، بل سيعود الى خطيبته ، التى يريد شقيقه أن يتزوجها ، لأن ما عدا هـذا يعنى شيئا واحدا ، هو أن زوجهـا ، الأب ، قاتل ابنه ، وهى حقيقة بشعة فوق احتمال الانسان ، ادت بالتاجر ، فى النهاية ، الى أن يطلق النار على نفسه ٠

وبهذه الرؤية الملتزمة يعد آثر ميللر شـاهدا على الحياة الأمريكية ، وتعد مسرحيته ادانة للمبادىء التى تسـودها ٠

وآرثر ميللر وجه لامع من وجوه المسرح الأمريكى المعاصر ٠

ولعل أهم الأعمـال التى قدمها المسرح المصرى له مسرحية « مشهد من الجسر » سنة ١٩٦٣ من اخراج كمال عيد ، وتمثيل توفيق الدقن ، وامينة رزق ، ومحمد السبع٠

فلنتأمل هذا المسرح ونتعرف على مكوناته ٠

ينتمى مسرح ميللر ، الى المسرح الاجتماعى ، دون أن يعنى هذا الانتماء الابتعاد عن الأعماق النفسية ، أو عدم الاهتمام بالكشف عن حقائقها الخاصة ، وتحركات الروح،

حين يتناقض القانون الذاتى لهذه الشخصيات مع القوانين والأخلاق الوضعية القائمة ٠

ذلك انه من خلا هذا التناقض ، تنشأ فوق الأرض المأساة ، وتسفر عن وجهها القبيح ٠٠ مأساة البحث عن مكان فى المجتمع ، ولو على انقاض الآخرين ٠

ولهذا تنتهى مسرحيات ميللر عادة بالسقوط المنيف المدوى ، نتيجة اعتداد الفرد بذاته وحدها ، أو لقائه بقدره المرصود فى روحه ، وتنصله من القيم الاجتماعية الصحيحة لمن تحولت حياته ــ على حد تعبير ميللر ــ الى مجموعة من الأهداف والعلاقات العابرة الجافة ٠

نجد هذه النهاية أوضح ما تكون فى انتحار التاجر الرأسمالى فى « كلهم أبنائى » ــ بعد ان سلم الجيش أسطوانات مشروخة غير صالحه للطيران ، أدت الى أن يلقى أكثر من عشرين جنديا حتفهم ، من بينهم ابنه نفسه ٠

كما نجد هذه النهاية واضحة فى مصرع ايدى ، فى مسرحية « مشهد من الجسر » ــ بيد قريب زوجته عندما شعر انه سيخطف منه بالزواج كاترين ، بنت اخت زوجته ، التى رباها منذ كانت طفلة ، وحمل لها بعد ذلك حبا آثما ، كالحب الذى يتصل بالمحارم ٠

من هذا يتضح ان العلاقة بين الفرد والمجتمع المحيط تمثل جوهر مسرح ميللر منذ بدأ الكتابة فى أول الأربعينات ،

على غرار ما نجد مسرح ابسن الذى يعد من اكبر المؤثرات التى تلقاها ميللر بعد شيكسبير ٠

الا ان ميللر يرى أن الفردوس الذى يعيش فيه المرء فى عالم البراءة ينتهى على الدو فى لحظة الاختيار بين الخير والشر ، وانه بمجرد تحقق الرؤية ينطلق الانسان فى فلك البحث عن مزيد منها ، الى ان يتخلى تماما عن الفضيلة ، ويسقط فى الهاوية ٠

والكتابة بالنسبة لميللر اشبه بسياحة فى بحار مجهولة يبحث فى غضونها عن معنى الأشياء ، واكتشاف مغزاها الكامن فى ذهن المشاهدين ، دون أن يعرف متى تنتهى هذه السياحة ويضع القلم ٠ حسبه أن يبدأ الكتابة بدافع من الاحساس بالشغف بموضوع ما ، بشخصية ما ، بحدث ما ، أو حتى بمجرد شعور يخامره ٠

وتحت تاثير هذا الاحساس المبهم الذى يثير الحركة الدافقة فى الذهن يملأ ميللر اكثر من الف صفحة كاملة من الحوار بين شخصيات المسرحية ، ولكن من الطبيعى ان حوارا يشغل هذا الحيز الضخم يفيض بزيادات لا تحصى، لأن الحوار المسرحى الجيد الصنع ٠٠ حوار شديد الايجاز بالغ الدقة ٠ لا يتضمن كلمة واحدة يمكن الاستغناء عنها او تغييرها ٠

وبعد أن يكون ميللر قد استوعب ملامح شخصياته جيدا ، ودرس قضيتهم ، يلقى بالصفحات الألف هذه ، ثم

يشرع فى كتابة المسرحية فى شكلها المحكم الواضح ، فى حدود مائة وعشرين صفحة لا اكثر ، ينتفى فيها كل تفصيل . ويتركز على المشاهد الرئيسية فقط .

وفى النهاية يجد ميللر نفسه فى قمة الارهاق الذهنى والبدنى ، فيقسم الا يعود الى كتابة المسرحية مرة ثانية. ثم لا يلبث أن يبدأ من جديد التفكير فى مسرحية جديدة على المنوال السابق ، بشوق الانسان المقبل على مغامرة جديدة ، تفيض فى انطلاقها الحر بالروعة ، وتعد بالمتعة مهما تجشم فى سبيلها من جهد .

وعلى الرغم من أن ميللر مقل جدا فى كتابة الارشادات المسرحية ، الا أنه يكثر فى نفس الوقت من ملازمة المخرجين اثناء التدريبات السابقة على العرض المسرحى . وهذا يذكرنا بماكس فريش الذى يشعر بسعادة غامرة فى حضور هذه التدريبات ورؤية المسرحية المخطوطة وهى تتخلق امامه ، وتكتسب حياتها الكاملة . كما ان ميللر دائم الحضور للعرض نفسه ، لا يتوقف عن ابداء ملاحظاته العديدة حول التمثيل ، والاخراج ، والديكور .

ويملك ميللر الشجاعة الكافية لان يعترف أن اداء الممثل الذى قد لا يحيط احاطة تامة بمضمون المسرحية ، أو أن رسوم واضاءة الديكوريست ، تجىء أحيانا افضل كثيرا من كل تصوراته .

ولعل هذا الاهتمام بمتابعة العمل المسرحى فى كل خطواته يرجع الى نظـام التعامل مع المؤلفين المسرحيين فى امريكا الذين يتقاضون نسبا متزايدة من الايراد قد تصل الى ١٥ بالمـائة ٠٠ مما يجعل ميللر حريصـا على نجـاح النص جماهيريا ٠

ولان العمل الفنى المجسد على منصة المسرح يختلف بالضرورة عن النص الأدبى المكتوب ، يحرص ميللر على ارجاء نشر مسرحياته فى كتب الى أن تعرض على الجمهور اولا ، ويتاح لنقاد المسرح تقييمها حية على المنصة ، وليس كلمات جامدة فى كتاب ٠

وتتضمن مكتبة ميللر الخاصة دائرة معارف كثيرا ما يعود اليها ، نتيجة ارتباط مسرحه بقضايا المجتمع ، اى بالواقع ، واعتماده على الحقائق المعاصرة ، وزيادة وعيه بالتيارات التى تشكل حركة التاريخ من الأزمنة القديمـة حتى الوقت الراهن ٠

كما يوجد فى هذه المكتبة الكتاب المقدس الذى يحظى عهده القديم باهتمام ميللر أكثر من العهد الجديد ٠ ولهذا دلالته بالطبع فى الافصـاح عن معتقدات ميللر ٠

وفى سـنة ١٩٧٢ استلهم ميللر من الكتـاب المقدس كوميديا فاجعة تحمل عنوان « خلق العالم مسالة اخرى »

يندد فيهـا بعبادة الفرد ، ويقف الى جـانب الشـعوب والضعفاء ضد مظالم الحكام ٠

ويشعر ميللر كمعظم الكتاب بالفارق الكبير بين ما ينجزه بالفعل وما كان يتطلع اليه ٠ ولا شـك أن مثل هذا الشعور يعتبر من أكبر المحرضـات لتحقيق قدر أكبر من الابداع الفكرى والفنى فى أعماله التالية ٠

« الأنوار » ، بيروت ، ١٢ فبراير ١٩٨١ ٠

« المساء » ، القاهرة ، ١٩ فبراير ١٩٨١ ٠

كايـزين كـولييف

الشعب البلغارى هو احد الشعوب الصديقة ، المحبة للحرية والعدالة والسـلام ، التى قدمت لنا ، فى اعقـاب النكسة ، يد العون والتعضيد •

فلنتعرف على ادبائها وشـعرائها ومفكريهـا الذين يمثلون هذه الواجهة الوضيئة ، فى مراحل النضال ولحظات الانتصار ، ويعبرون عن ارفع القيم ، من خلال هـذا المقال المترجم الذى كتب بقلم : فلاديمير اونيف •

تحكى احدى الاغنيات الشعبية المستوحاة من كلمات الاغنية البطولية الشهيرة ايتيبيف ، التى سجلهـا كايزين كولييف فى تشجم جورج بشمال القوقاز ، عن رجل من القبائل الجبلية ، يطلب الى ابنه ، ان عاش الى الوقت الذى يكف فيه الانسان عن ظلم اخيه الانسـان ، ان يأتى

الى قبر والده ، ويهتف بأعلى صوته بهذه الأنباء • وعندئذ لن تبدو أحجار القبر الرمادية بما هى عليه من ثقل •

وقد تناقل الأطفال والأحفاد وأحفاد الأحفاد هذه الأغنية من جيل الى جيل • وتقول الأسطورة ان هذه الأغنية من نظم الشاعر الكبير كايزيم ميتشييف ، وان الشعب قد عمل على ذيوعها ، وكايزين كولييف ، الذى يعد الآن أشهر شاعر بلغارى ، يعتبر نفسه تلميذا لميتشييف•

ذلك ان جذور أشعار كولييف تغوص بعمق فى أرض فولكلور بلغاريا الغنائى ، متأثرة بألق روح الشعب ، ورائحة الأرض الوطنية ، وقوة الحياة ، والثقة فى انتصار العدالة • ويصف كولييف الشعراء المجهولين ، من الرعاة والفلاحين الذين تركوا وراءهم قصائد رائعة ، بأنهم « بالرغم من ان ثيابهم ممزقة ، تتألق النجوم فى أرواحهم » • ويعد الصدق فى شكل قصائد كولييف ، وما تمتاز به من البساطة ، من سبط هذا الخيال • ولكن اية حكمة وأى عمق وراء هذه الواجهة الصادقة ! •

ولد كايزين كولييف سنة ١٩١٨ ، فى كوخ رجل فقير من سكان الجبال • الا أن احساسات الطفولة عنده وافكارها كانت مقرونة مع عالم من المناظر الريفية المثيرة • وفى وقت باكر من حياته تفتح له تراث الشعر الروسى •

ولم تلطف حرب ١٩٤١ ــ ١٩٤٥ روح شاعر بلغاريا

وحسب ، بل وثقت صلته مع ملايين الناس المرتدين المعطف الرمادى الحربى . جنبا الى جنب مع الذين دافعوا عن الحياة ضد الموت • ولقد كانت الواقعية ، والحقيقة ، والرحمة الصلبة ، هى قيمه الشعرية • وكبح النفس القوى خصيصة الغنائية الجبلية وشخصيتها •

اذا أتى المرح ، اقبله •

لا تكن متكبرا ، ولكن مستحقا له •

اذا أتى الحزن ، ضم شفتيك ،

لا تضعف خوفا ، كن مستحقا له •

وكثير من قصائد كولييف مكرسة لمشاكل الحياة والموت ، والزمن الذى يقوم العالم ويجدده • غير أنها ليست فى عزلة ثقافيا ، بل شديدة التوقد ، ومتواضعة عن قصد ، ودائما ما ترتبط الحقيقة بتجارب المؤلف الشخصية •

ان الحياة فى القرن العشرين مرتبطة بأحكام ، مائة حياة تتضمن فى حياة واحدة • ولعل هذا هو السبب فى أن الشاعر ، فى كل من مقطوعاته الشعرية ، يحيط عمليا بكل حياة الانسان ، ونادرا جدا ما تقتصر على حالته الروحية •

فاذا كان ثمة تخيل لطريق ، فان هذا الطريق يعبر من نهايته الى نهايته ، واذا كان نهرا يبحر من منبعه الى مصبه •

وبهذا الاحساس تنتمي أشعار كوليبف الى « الغنـاء الملحمي » حيث تقود التجربة الشخصية الى معرفة التجربة التاريخيـة ٠

ولست اعرف ان كان ثمة أشعار عن الحرب اقوى من اشعار كوليبف التي يقول فيها :

في مكان ما بعيدا جدا تتوجع أم

وهي تغني لطفلهـا ٠

مخـاوف ابدية ، قـلق العـالم

يذوب في اغنيتهـا ٠

في اي حرب ، الرصاصـة الأولى

تخترق قـلب الأم ٠

وايا كان المنتصر في نهايـة المعركة ،

يسـيل الدم من قـلب الأمم ٠

لقد ألف اسلاف كوليبف اسـطورة عن رجل من التلال ، عاش في ظما للسلام والعدالة ٠ اما معاصرنا كوليبف فيتذكر هذه الأسطورة ، وبكل حماسته الشعرية يحـارب من أجل تحقيق الحلم ٠ وبهذا يجب على الانسانية برمتها ان تنادي ، على شـواهد القبور الشهباء لضحايا التاريخ ، بالأنباء التي تطمح اليها ٠ وبهذا أيضا يظل البؤس والشر داخل نطاق الأساطير فقط ٠

كنت صبيا

كنت صبيا على المحراث ، جنديا وشاعرا ،
رأيت مكابدات كثيرة ، ودموعا غزيرة ،
يبدو كانما عشت ، رغم انى ما زلت لم افصح عنها ،
هنا فى هذا العالم ، عشر مئات من السنين الطويلة ،
مثل هذا العمل منتظر ، مثل هذه الأراضى البعيدة تدعو ،
وكثير من الأشعار يجب أن اكتبها ،
يبدو كانى كنت ازحف منذ يوم او يومين وحسب ،
العب مع امى ، او اجثم على ركبتها .

« الثورة » ، دمشق ، ١٥ اكتوبر ١٩٦٧ .

دورينمـــــات

استضافت مصر فى نهايـة شـهر نوفمبر المـاضى الكاتب السويسرى فريدريش دورينمات • ودورينمـات (١٩٢١) ليس غريبا على الحركة الثقافية فى مصر ، فقد ترجمت بعض مسرحياته الى اللغة العربية ، وعرضت على خشبة المسرح المصرى •

لهذا كان لقاء دورينمات بالمثقفين والكتاب فى القاهرة لقاء مع كاتب معروف فى حياتنا المسرحية •

كان اللقاء الأول مع دورينمات فى كلية الآداب جامعة القاهرة ، وحضره مئات من الطلاب والطالبات والأساتذة ، وقـدم فيه دورينمـات ، بصوته ، قراءات من أعماله ، اختارها من مسرحية ((رومولوس العظيم)) ، ومسرحيـة

« هبط الملاك فى بابل » • وتم اللقاء الثانى فى مبنى جريدة « الأهرام » ، مع عدد من كتـاب وفنانى وفنانات المسرح •

وعقد اللقاء الثالث ـ الذى نعرض وقائعه ـ بفندق شيراتون الجزيرة ، فى شكل ندوة أدبية موسـعة ، أدارها الدكتور ممدوح البلتاجى رئيس هيئة الاستعلامات المصرية التى قامت بدعوة دورينمـات • وتحـدث فيها عن أدب دورينمـات وشخصيته الدكتور لويس عوض والدكتـور يوسف ادريس • ثم رد دورينمـات على الأسـئلة التى وجهت اليه باختصـار وحذر ، حتى يظل الباب مفتوحـا لتفسير أدبه •

بدأ الدكتـور لويس عـوض حديثـه بالترحيب بدورينمات • واضاف أن مجيئة بيننا يمثل امتدادا لتلك الاحتفالات الثقافيـة التى ألفتها القـاهرة ، أو تتويجـا لسلسلة من الزيـارات • فقد عرفت القـاهرة جان بول سارتر وسيمون دو بوفوار • كما عرفت ميشيل بوتور ، وناتالى ساروت ، وآرثر ميللر ، وغيرهم كثيرون • ومن المفكرين عرفت جارودى ، وجاك بيرك وغيرهما (١) •

---

(١) كذلك يمكن أن نذكر من الذين زاروا مصر فى السبعينات والثمانينات : يفوشنكو ، حمزاتوف ، اندرفنش ، مالرو ، مورافيا ، مالكم فريتى • وزارها فى السـبعينات الناقد الانجليزى ايفور ريتشاردز •

وربما كان مظهر سعادة لنا جميعا ان القاهرة عرفت فن دورينمات منذ الستينات ، سواء فى مسرح الجيب او على خشبة المسرح القومى ، وكان عرض مسرحياته بمثابة هزة ثقافية لجمهور القاهرة المسرحى ، لا سيما ان الاهتمام بدورينمات اقترن بتلك الحركة التى ازدهر فيها تمثيل الأدب الوجودى ، ثم أدب اللامعقول ٠

وعن موقف دورينمات من هذين التيارين ، يقول لويس عوض :

ـ من متابعى لأعمال دورينمات وجدت نفسى أقف حائرا امام جملة ظواهر فى أدبه ، فكنت دائما اسأل نفسى ، هل دورينمات ينتمى حقا الى مدرسة اللامعقول ؟ فعندما بدأنا نتصل بأدب اللامعقول ، عرفناه أولا عن طريق بيكيت ويونسكو ٠ ودراستى لأعمال دورينمات جعلتنى اقف محتارا امام هذه الظاهرة الجديدة ، لأنى لاحظت خلو أدبه من ذلك اللاتفاهم الذى نجده فى اعمال بيكيت ويونسكو ، حيث نجد الشخصيات كل منها يتكلم فى واد خاص به ، وكأنما ليس هناك مواضعات ٠٠ هذا هو الذى حدد اتجاه اللامعقول ٠

أما ما نجده فى مسرح دورينمات فشىء آخر ، فاللامعقول ليس مبنيا على اللاتفاهم ، وانما على لامنطقية الحياة ، وما فيها من فوضى وتناقض ٠٠ اللامعقول عنده شىء بنيوى ، خطأ فى معمار التاريخ ، او معمار الكون ،

او الطبيعة . وأدبه ـ كما قال دورينمات نفسه ـ محاولة لخلق الشكل والاطار والقالب ، وصنع التناقض الفكرى ، بهدف ان يصبح العالم اكثر معقولية ، واقل تناقضا .

وتأكيد دورينمات على الهدف يعنى انه ليس متشائما مثل كتاب اللامعقول والعبث ، خاصة وانه يعتبر الكتابة فعلا ايجابيا متمردا .

وهنا طلب لويس عوض من دورينمات أن يحدد للحاضرين طريقه الفنى ، حتى يمكن الاقتراب من أدبه بطريقة أوضح .

أجاب دورينمات باللغة الألمانية ، لأن الفرنسية ليست سهلة بالنسبة له :

ـ يتركز اللامعقول فى مسرحى فى البناء . وانا لا أحب مصطلح مسرح اللامعقول ، لأن كلمة اللامعقول تعنى ما يتنافى مع العقل ، والأفضل ان اقول ان الوصف الصحيح لمسرحى هو انه مسرح تناقض .

والتناقض فى رأيى موجود فى الانسان نفسه ، ويتمثل فى أن الانسان يموت وهو يرتب أمور حياته ، لكى يزحزح فكرة الموت من امامه . ولا يمكن لكاتب الملهاة أن يصور الانسان تصويرا صحيحا الا وهو قريب من الموت .

ان الكوميديا تقوم على الشجاعة . وانا احاول ان أصور الانسان وهو يتمنى أن يكون شيئا آخر غير شخصيته التى يعيشها .

واشـارة دورينمات الى التغيير تفسر لنا اهتمامه بالصراع الداخلي للشخصيات ، بحثا عن مفهوم ومنطق جديد للحياة والمجتمع ، تخرج الشخصـية من خلاله من حالتها ، بفضل ما تكتسبه من وعي وادراك ٠

بعـد ذلك تحـدث يوسـف ادريس عن شخصـية دورينمات ، قائلا :

ـ اعتقد ان سر حماسي لدورينمات ، وطلبي بالحاح ان اقابله في سويسرا ، ودعوته الى مصر ، لا تنبع من فراغ٠ فانا كاتب احب المسرح ٠ واعتقد ان قليلين جدا من الكتاب، سواء عبر التاريخ او في العـالم المعاصر ، قد اسـتطاعوا ان يصلوا الى قلب معنى الدراما ٠ ودورينمات خـالق شيء جديد في المسرح العالمي والالمـاني اليوم ٠

فقد استطاع ان يخترع الأسطورة الحديثة ، لانه ـ كما يقول نقاده ـ استمع الى والدته وهي تحكي له الأساطير المسيحية ٠ واستمع الى والده وقد كان قسيسا يهوى الأدب الاغريقي بما فيه من اساطير ، وهـذا يعني ان طفولته كانت اسطورية بفرعيها : المسيحي والاغريقي ٠

ويبدو ان احد الوالدين ايضا ، واغلب الظن انهـا الأم ، كانت كوميديـة النزعة ، بينما كان الوالد تراجيدي النزعة . فتدخلت في تكوين دورينمات : الأساطير الدينية ، والأساطير الاغريقية ، والكوميديا والتراجيديا ٠ ومن هذا المزيج يتخلق انسان دورينمات ، الجزء الكوميدي المسيحي

يتضح فى الملهاة التى يكتبها ، والجزء التراجيدى الملحمى يتضح فى رسوماته ٠

وحول هذا الجانب الفنى من شخصية دورينمات استأنف يوسف ادريس حديثه :

ـ وانا حزين لأنه لم يتح لعدد كبير منكم أن يرى دورينمات الرسام ٠ ولقد اتيح لى أثناء زيارتى لدورينمات فى منزله ان أحظى منه بهدية قيمة جدا ، هى كتاب فيه كل ما رسمه ، وهو كتاب مرقم ، مطبوع منه فى العالم كله ٥٠٠ نسخة أو اكثر قليلا ، وقد كان رقم الكتاب الذى اهدام لى (٥٣) ٠

لأنى لا اعرف الألمانية المكتوبة على الرسوم ، كنت التجىء الى الأصدقاء الذين يعرفون الألمانية ، وهم قليلون ، كما يلتجىء الشحاذ ، ليسالهم عن معنى كلمة ، حتى أفهم عالم هذا الرجل المعقد الغريب ، وبالذات وضعه رأس الثور على الجسم البشرى ، بشكل حاد السخرية من الانسان والطبيعة ٠

وعقب عودتى من سويسرا نشرت نقاشا طويلا حدث بينى وبينه ٠ واحب ان احيى هذا النقاش ٠ فلابد لكل كاتب مسرحى أن يكون له مركز فكرى وفلسفى معين ليصدر عنه ٠ وقد سألته فى سويسرا ما هو ايمانه ؟ ما هى فلسفته ؟ ما هى فكرته عن الحياة ؟ فاكد لى انه يؤمن ان المسائل فى الكون مجرد صدفة لا معنى لها ٠ وليس

هناك نظـام كوني دقيق يحدد كيف يسير الكون ، وكيف ينظم ، وانما المسألة تخضع للعبث ٠

الا اني قلت له ان الصدف اذا أصبحت بالمليـارات ، فانها تؤدى حتما الى قانون الحتميـة ، اى يصبح هنـاك حتى للكون ، وقوانين تسيره ، لأن هـذه الأعداد الهائلة من الصدف التى تحكم الكون ، لابد ان يحكمهـا هى تفسيرا قانون يضبط العالم ٠

وردا على هذه التساؤلات التى طرحها يوسف ادريس، أجاب دورينمات :

ـ هذه الأسئلة التى توجه لى صعبة جدا ٠ انني اعتقد اولا ان المصادفة موجودة فى العـالم ٠ ولكننا حين نتكلم عن المصادفة يحدث احيانا سوء فهم ، فنخلط بين ما يسميه علمـاء الطبيعة المصادفـة ، وما نسميـه نحن المصـادفة ٠

هناك عمليات معينة فى داخل الذرة ، لا نستطيع ان نستخدم فى تفسيرها قانون السببية ، نجد فيهـا ان الزمن يعود الى الوراء ، وهى مسائل صعبة ومعقدة ٠

اما ما نسميه نحن مصادفة فينطبق على حـوادث السيارات ، ونحن نبنى لأنفسنا عالمـا مكونا من حوادث مثل حـوادث السيارات ٠ كذلك كلمـا كبرت احجـام الطائرات ، زادت امكانية حدوث حوادث الطيران ٠

نحن نؤمن بأن الآلات لا تخطىء على الاطلاق • ومع ذلك من الممكن أن تكون مليئة بالأخطاء التى لم تدرك عند صنعها •

اننا نعيش فى عالم كل نهج فيه غير مؤكد • وانتاج الكثير من الأسلحة لعب بالنار • نعيش فى عالم كأنه مصنع للبارود ، لا يمنع فيه التدخين • من الممكن أن نسمى هذا العالم لا معقول ، ولكن الانسان هو الذى خلق هذه اللامعقولية •

وأخيرا فتح باب الحوار لجمهور الحاضرين ، الذين وجهوا الى دورينمات مجموعة من الأسئلة عن المؤثرات التى تلقاها ، وهى مؤثرات عديدة ، وعن انطباعه عن مصر المعاصرة التى كانت معرفته بها أقل من معرفته بمصر القديمة ، وآخر مسرحية يكتبها ، وعلاقته كمؤلف بالممثلين الذين يراهم مثل الألوان على لوحة الرسام •

ان زياتر كاتب عالمى مثل دورينمات ، يتفهم بموضوعية القضايا العربية ، لبلد عربى مثل القاهرة ، يعنى أن العالم العربى يعيش لحظة حضارية مهمة ، تحقق تواصل الابداع العربى بالابداع العالمى ، وهذه هى الدلالة التى تعبر عنها بجلاء زيارة دورينمات لمصر ، التى اتخذت شكل تظاهرة ثقافية ، احتفت بها وسائل الاعلام فى العاصمة العربية •

« الدستور » ، لندن ، ١٦ ديسمبر ١٩٨٥ •

تشينوا أتشيبى

ليس للكاتب النيجيرى تشينوا أتشيبى ، الذى فاز هذه السنة بجائزة « لوتس » الدولية للأدب الإفريقى الآسيوى ، غير أربع روايات ومجموعتين من القصص القصيرة ، ولكنها كانت كافية لكى يتبوأ أتشيبى مكانة عالية فى الأدب العالمى المعاصر • تعقد عنه الدراسات ، وتؤلف الكتب ، وتورد اسمه الأقلام التى تتناول أدباء القارة السوداء المرموقين •

هذه الروايات هى : « الأشياء تتداعى » ١٩٥٨ ، « لم يعد هناك رائحة » ١٩٦٠ ، « سهم الرب » ١٩٦٤ ، « رجل من الشعب » ١٩٦٦ •

أما القصص القصيرة فهى : « بيضة القربان » ، و « البنات فى الحرب » • وقد صدرتا سنة ١٩٧٢ •

ولأتشيبى ، أيضا ، مجموعة شعرية واحدة ، صدرت طبعتها الأولى سنة ١٩٧١ ، ثم اعيد طبعهـا فى السنة التالية ، عنوانها : « **حذار يا شقيقى الروحى** » ·· وله أيضا قصائد أخرى ·

كما أن له مجموعة من المقالات النقدية ، تتنـاول وظيفة الكاتب الأفريقى ، ودوره فى امته الجديدة ·

وتشينوا اتشيبى الآن فى الخامسـة والأربعين من عمره · ولد سنة ١٩٣٠ فى قرية أوجيدى ، شرق الاقليم الأوسط من نيجيريا ، الذى يتحدث لغة الايبو · وقد تلقى علومه فى بلاده باللغة الانجليزية التى تنتشر بين سكان غرب افريقيا · وأثناء عمله فى اذاعة لندن سـنة ١٩٥٦ وما بعدها ، اتيح له زيارة كثير من دول اوربا الغربيـة ·

ونيجيريا التى ينتمى اليها هذا الكاتب تقع فى غرب القارة الأفريقية ، ويبلغ تعدادها ٨٠ مليون نسمة · وهى بذلك ، أكبر دول غرب افريقيا تعدادا بالسكان · وأكثرها ثراء من عوائد البترول ·

وبحكم تمكن تشينوا الفائق من اللغة الانجليزية ، التى أحرز فيها شهرة عالمية ، كتب بها انتاجه الأدبى الذى يسوده يقين راسخ ، هو أن تاريخ افريقيـا العريق ، الممتد عبر آلاف السنين ، تاريخ زاخر بالقيم الأصيلة الباقيـة ، فى حياة الأفريقيين وشـعائرهم الدينية ، التى تتصارع

فيها ، فى حاضر الأيام ، الأفكار الجديدة للشباب ، ضد الأفكار التقليدية القديمة ٠

وهذا الصراع لا ينشب بين العشائر المختلفة ، بل داخل العشيرة الواحدة ، التى ترتفع فيها قيمة المشاركة الى أقصى مدى ، ويقتضى العمل فيها أن يصبح الفرد جزءا عضويا من الكيان الاجتماعى القائم ، متآلفا مع جوهر روحه، لا جزءا منفصلا عنه ، مناهضا له ، على الشاكلة التى تطالعنا بها المجتمعات الغربية الحديثة ٠

واعتناء تشينوا اتشيبى بتصوير العلاقة بين الفرد والمجتمع ، يمضى على نفس الوتيرة ، التى نغلب على الأدب الأفريقى ، كأدب اجتماعى واضح الدلالة ، يحمل رسالة قومية محددة ، وان لم يتحول الى أدب تعليمى ٠

على أن هذا الصراع المحلى ، الذى تتراءى فيه الشخصيات الافريقية المتصارعة ، شخصيات جسيمة ، قوية ، سخية الحس فى تكتم ، لا تعرف التنازل او الرضوخ ، كان يهدف فى المحل الأول ، الى تعرية المستعمر الأبيض ، وفضحه امام العالم المعاصر ٠

ويعد هذا الموقف أحد الأبعاد الرئيسية لفكرة المواجهة فى أدب تشينوا اتشيبى ، التى تصطدم فيها الثقافة والمكونات الأفريقية اصطدامات ملحميا بالثقافة الأوربية ،

حيث يثبت التاريخ القومى التليد ، السابق على السيطرة الاستعمارية ، حضوره الحقيقى ازاء المزاعم الخاطئة التى يدعيها الرجل الأبيض ، وهى انه لم يكن للأفريقيين تاريخ أو ثقافة من قبل ٠

ان أدب تشينوا ، الذى يبلغ درجة عالية من الاكتمال الفنى ، عبـارة عن محاولة قوية وهادئة لعرض الجـذور القديمة المترامية ، وتقوية عناصرها الساكنـة المعطاءة ، التى تنغلغل فى مساحات أفريقية ، تزيد رقعتها عن مساحة اوربا عدة مرات ، وتمتلك حدودا اوسع منها ، واقل تنافرا فى خصائصها القومية ٠

اما « **تداعى الأشياء** » فهو النتيجة الحتمية للتفكك الذى أصاب القبائل الافريقية ، تحت تأثير الاستعمار ، وادى الى فقد القدرة الفطرية على التماسـك كمجموع ، سواء على المستوى الاجتماعى ، أو على المستوى الخلقى ٠

وحين شعر أتشيبى ، بعد ذيوع رواياته الثـلاث ، انه حقق بعض ما أراد التعبير عنه ، كعابد متبتل للأسلاف ، يستشعر الهيبة والسمو والمـأساة فى المـاضى ، اتجـه بكل ثقله فى الرواية الرابعة ، « **رجل من الشعب** » ، الى الحـاضر ، بروح التعـاطف والفهم ، حتى يتسـنى له التصدى لقضاياه السياسـية والاجتماعيـة الملحة ، التى لا يستطيع كاتب افريقى معاصر أن يتجاهل بدائيته وتخلفه

وفساده ، خاصة وان هـذا الوضع ـ الذى يشبه الوقوف تحت المطر فى العراء ـ شـديد الارتباط بالمستقبل ، الذى بدأ شعب بلاده يتقدم اليه ، بعد الاستقلال ، وقيـام حكم الولايات الاثنتى عشرة ٠

ويتفق هـذا الموقف من الحـاضر مع النداء الذى وجهه الكاتب النيجيرى وول سوينكا ، فى مؤتمر الكتـاب الأفريقيين الاسكندنافيين الذى عقد فى استكهولم فى فبراير سنة ١٩٦٧ ، ومفاده ان يتخلص الكاتب الافريقى على الفور « من انشغالاتـه الرومانسـية بالمـاضى ، وأن ينصرف بكليته الى مواجهة خطر التفكك الذى يظهر فى كل مكان بأفريقيا اليوم » ٠

ولاشك ان معرفة تشينوا الحميمة بماضى بلاده ، تضفى على نظرته الى الحـاضر والمستقبل قدرا أكبر من الوعى والسداد ، يفتقده أولئك الذين لا يعيشون الا فى الحاضر الراهن وحده ٠

واهتمام تشينوا اتشيبى بالتركيز على الملامح المادية لشخصياته ، ينبع من استبحاثه صور البطولة الفردية ، ومظاهر الجمال الخارجى الكثيف ، الذى تفيض به القارة، فضـلا عن ان هذا التناول يعد من التقاليد الثابتة فى الآداب الافريقية القديمة ، التى حافظ تشينوا عليهـا ، باعتراف معظم النقاد ، ونقل معانيـه خلالها ، ولو أن

الشاعر العظيم ماجولواني وفق فى بداية القرن التاسع عشر ، الى تطويرها نحو الآفاق الدرامية ، التى تقوم على الرمز المثير للفكر والخيال ٠

والذين يلمون بمشاكل الثقافة الأفريقية ، يعرفون جيدا ان الكتاب الافريقيين يرفضون احتذاء المعايير الغربية فى انتاجهم ، ويعدونها خطرا داهما على تطور فنونهم الأفريقية ، التى يجب أن تتمسك بقيمها وسماتها الخاصة ، فى الأداء اللغوى والمعالجة الفنية ، وتفرض صيغها التعبيرية المبتكرة على المتذوقين فى بلادهم ، أولا واساسا ، وذلك بأن تأخذ فى اعتبارها نوعية هذا الجمهور الافريقى ، الذى يتعين عليها أن تسعى اليه ، وتخاطبه وحده ٠

ولعلنا نجد بعض خصائص هذا التناول فى النبض الحار ، والموسيقا الحادة ، والصور والتشبيهات الأصيلة ، الخالية من أى تعقيد ، التى يتميز بها الأدب الأفريقى ٠

وفى ضوء هذا المفهوم الذى تتطلع الثقافة الافريقية الى تحريه ، يرى الناقد النيجيرى جوزيف أوكياكو ، رئيس تحرير مجلة الأدب والفنون الافريقية الجديدة ، أن روايات تشينو وأونور اتريكوو وفرانسس سيلورمى ، تمتلىء على السواء بالايضاحات والتفسيرات المملة بالنسبة للقارىء الافريقى ، التى وضعت بدافع ما يجول بخواطر

هؤلاء الكتاب عن القارىء الغربى ، الذى ينظر الى افريقيا منزرا ، ومن هنا لم تلتزم هذه الروايات بالسياق الفنى للثقافة الافريقية ، التى يجب الاحاطة التامة بها ، بادىء ذى بدء ، لمن شاء أن يقراها من خارج نطاقها .

ويضرب جوزيف اوكباكو المثل بشيكسبير ، الذى كتب عشرات المسرحيات ، دون أن يضع فى اعتباره أن يفهمه القراء الافريقيون ، بل وضع فى اعتباره ، وحسب ، أن تفهمه انجلترا ، وامتداداتها الثقافية الى عالم الغرب .

على هذا الغرار يجب أن يضع الكاتب الأفريقى نصب عينيه القارىء الافريقى ، ويسيح بوجهه عمن عداه ، على الأقل فى هذه المرحلة .

وهذا هو المأخذ الوجيه الذى تعرض له ادب أوتشيبى .

« المساء » ، القاهرة ، ١٣ سبتمبر ١٩٧٥ .

يفتوشـــــنكو

يؤمن الشاعر السوفيتي المعاصر يوجين يفتوشنكو ، ككل شاعر اصيل اداته الكلمة الموقعة ، ان سيرة الشاعر الحقيقية هي مجموع قصـائده الملهمة ، وليس ما يكتبـه بالعقل الهادىء عن نفسه .

سوى انه اضطر سنة ١٩٦٣ ، حين حمل خروشوف حملته الشهيرة على الأدب والفن غير الملتزمين بمبـادىء الحزب الشيوعي ، وتعرض الشاعر لاتهامات زملائه ، الى كتابة هـذه الترجمة النثرية لحياته وافكاره ، يبرىء فيها ساحته مما أثير حولها من ظنون خاطئة ، ويطرح وجهـة نظره في الفن والعصر .

وخلاصتهـا انه شـاعر ملتزم بالاختيـار الحـر لا بالالزام ، يؤمن بأن الشعر سـلاح في المعارك ، ولكنه

لا يحب أن يقتصر على هـذا الجانب ، لئـلا يتحول الى دعاية تفسد الغاية المنشودة منه ٠

وقد نشرت هذه السيرة فى بادىء الأمر على شـكل مذكرات فى مجلة اكسبريس الفرنسية ، أثنـاء مروره بها فى رحلة من رحلاته العديدة التى يطوف بها العالم ٠

ومع هذا عاد الغرب واعتبرها موجهة ضد الاتحـاد السوفييتى ، واستنكرت « البرافدا » كثيرا مما جاء بها ٠

ثم جمعت هذه الصفحات بعد ذلك فى كتاب ترجمـه الى العربيـة بلغة حية تضع الكلمة العامية فى موضعهـا المنضبط الأستاذ حليم أحمد طوسون ، وصدر فى سبتمبر سنة ١٩٦٧ عن ــ دار الكاتب العربى ــ بعنوان « **حيـاة شـاعر** » ٠

كما سبق للأسـتاذ كامل زهيرى أن قدم ترجمـة كاملة له فى عدد مجلة « الهلال » الخـاص الذى صـدر عن الشاعر فى أول مايو من نفس السنة ٠

ويوجين يفتوشنكو شاعر شاب ، يتمتع بشهرة واسعة داخل بلاده وخارجهـا ، لم يتمتع بها شـاعر فى مثل سنه ، يحمل مع زميله فوزنسنسكى ريادة الشعر الجديد، وترجمت أشعاره الى عديد من اللغـات ، ومن ضمنها اللغة العربية ٠

ولد سنة ١٩٣٣ . اى قبل الحرب الكبرى الثانية . فقدر له ان يعـانى اهوالها صغيرا ، ويواجه . ابان صباه وشبابه الباكر . التناقض القائم فى المجتمع الروسى ٠

بدأ فى الخمسينيات يلقى قصـــائده على الملأ فى الميادين والساحات . فى المناسـبات القوميـة والأعياد ، بطريقته الحماسية التى يتحول فيها جسده الفارع الى كتلة من الانفعال العميق ، وحركته الرسيقة الى تعابير حسية أحرز بهـا اقبالا جمـاهيريا منقطع النظـير ، ولمع اسمه فى سماء الأدب السـوفيتى المعاصر ، يطبع من كل ديوان مائة ألف نسخة تنفد توا ، ويطـلق عليه اسـم « الشاعر العاصفة » ٠

وهو يتخذ مادة اعماله الفنيـة مما يشغل الصحف اليوميـة ويلقى اهتماما حقيقـيا لدى القراء : الفواجـع الانسانية . نضال الشعوب وقضاياها من اجل الاستقلال والتحرر ، الحيـاة الجديدة المتطورة . بقايا التناقض فى المجتمع . أحلام الشباب وتزواته وصدقه ٠

وفى هـذا الكتاب يصحبنا يوجين يفتوشنكو فى رحله فكرية خصبة . بعيدة الأماد ــ حافلـة بعض الشىء ومجردة بعض الشىء ــ على حد تعبيره فى اللقاء الذى عقده معه فى موسكو فيلسب جـلاب ، ونشر بجريدة « الأخبـار » فى ١٩٦٧/٣/١٣ ٠٠ رحلة تزيد خبراتنا من غير شك ، يتنقل خلالها من فكرة الى فكرة ، ومن مشهد انسانى الى مشهد

آخر . تحيط فى غضونها بكثير من القيم والمشاعر . وبمصادر الحياة التى نشأته ، وثقافته ، وتتعرف على قلقه المبكر ، وتمرده الذى طبع عليه عندما كبر ، فى مرحه وتطلعاته ومخاوفه وجديته جميعا .

لأن اشعار يفتوشنكو مستمدة من الحياة المتدفقة حوله ، فان معظم ما ذكره الشاعر فى هذا الكتاب عن طفولته وشبابه مصوغ فى قصائده .

اول الأفكار التى يتلقاها القارىء رأى يفتوشنكو فى الشعر ، ومجمله ان شعر الشاعر ان لم يتمش مع حياته تنكر له النظم . وهذا يعلل رفضه للالتزام الذى فرض على شعراء ما بعد ثورة ١٩١٧ ، الذين انكروا ذواتهم ، وكتبوا اشعارهم المفتعلة بصيغة الجمع .

اما هو فانه يعبر عن الأفكار والأحاسيس الجديدة التى عاشتها روسيا بصوته الفرد الصريح المكاشف .

بذلك حل يفتوشنكو المعادلة التى يقف امامها الأدباء بنقل « همسات الآخرين دون ان اتنكر لنفسى » .

ويمثل هذا التوفيق موطن قوة الشاعر الصادق الذى يكتب ما يحس به ويفكر فيه . انه يؤمن ايمانا راسخا بالموهبة ، التى تنبثق كما ينبثق نبع الماء من الأرض أو الصخر ، والا تحول الشعر الى شعارات . ولعل هذه الهمسات عنده — على خلاف ما نستشف من روحه — أقوى جدا فى نفسه ، رغم كل شىء ، لارتباطه الشديد

بالمجموع ، ولاتساعها لتاريخ روسيا الذى تتكرر نغماته فى أشعاره ٠

بعد ذلك ينتقل الشاعر الى مولده ، فى محطة سيبيرية صغيرة ، ومن أصل اوكرانى . فى أسرة تعتبر كلمة الثورة عقيدتها ٠

تعرف والده على أمه أثناء طلب العلم فى معهد الجيولوجيا ، فى العقد الثانى من هذا القرن ٠ فى هذه المرحلة التى بدات فيها البروليتاريا تعتلى اماكنها الصحيحة فى المجتمع ٠

طالع فى سن الثامنة من مكتبة أبيه مؤلفات كبار كتاب روسيا والمانيا وفرنسا وانجلترا ، ومنها تعلم حب الكتب ، ونمت فى صدره بذرة الشاعرية التى طمرت فى صدر الأب المهندس البيولوجى ، واكتفت بالتعبير عن نفسها بقراءة القصائد الشعرية للابن ٠

ومن أمه المثالية فى الثورة تعلم حب الأرض وحب العمل ، فنجا ، بهذا الجانب العملى ، من تعالى المثقفين الذين يحصرون انفسهم فى الكتب ، ويشمخون بها ٠

مرت به الحياة هادئة ، الى أن وقع العدوان النازى الغاشم على بلاده فى يونيو ١٩٤١ ، وهاجر مع أمه الى قرية زيما ٠ وخلال معاناة أهوال الحرب ، التى تجسمت أمامه شرورها ، آمن بالسلام ، وتضاعفت حساسيته ، وادرك معنى الوطن : رجال ينبضون بالحياة ٠

هؤلاء الرجال هم الذين استطاعوا ، بفضل اخلاصهم وفدائيتهم ، الانتصار فى الحرب ٠

كان الشباب المجند فى هذه القرية « زيمـا » يعقد زواجه على الفتيات ، قبل التوجه الى جبهة القتال بليلة واحدة ، قد تكون هى الليـلة الأخـيرة على نحو ما ذكر يفتوشنكو احداثها فى قصيدة « الزواج » او « العرس » ، التى القاها بنفسه فى دار الأوبرا بالقـاهرة عند زيارتـه للقاهرة فى ابريل المـاضى ، بعد حضـور المؤتمر الثـالث لكتاب آسيا وافريقيا ببيروت ٠

وهى أحداث واقعية عاشها الشاعر بالفعل ، بكل ثقلها ومرارتها ، لأنه كان يقوم فيها هاتيك الأيام بدور الراقص ، مقابل قطعة خبز ٠٠ كذلك شهد أمه المحطمـة على المنصة وهى تغنى بصوت مكسور ٠

وعلى الرغم من فظاعة النكبات التى انزلها الألمـان بنساء روسـيا عند اكتساح الجبهات الأمامية ، وتدمير المدن والمصـانع والمزارع ، وابادة الملايين : الزوج والأدب والابن والأخ ، فعندما سار طابور أسراهم فى شـوارع موسكو ، مثقلا بالجراح ، منهكا ضعيفا ، تتقدمن اليه بالخبز والدخان فى لحظـة من لحظات العطف الانسانى التى تقدم لنا الشعب السوفيتى فى صورة من أجمل الصور ٠

الناس جميعا تلتحم فى النهاية تحت تأثير الألم ٠ رؤية من رؤى الشاعر الانسانى ، ركزها فى هـذه المعاملة الطيبـة ٠

من هـذه الأحـداث التاريخيـة ، ومن الصعلكة فى الشوارع التى مارسها بسبب افتراق أبيه عن أمه ، بدا يفتوشنكو ينظم قصـائده بحرارة وجسارة من تلقى المعرفة من الكتب ـ الأدبية والفلسفية ـ والحيـاة معا ٠٠ وكانت قصائده الأولى على منوال الفولكلور الذىأخذ يدون اغانيه، خوف أن تضيع « هذه الثروة اللغوية الشعبية » ٠

وككل شاعر مبتدىء ، رفضت اعماله الأولى ، غير أن الياس لم يتطرق الى نفسـه ، ولم يعلن بطلان الكل ٠٠ بل صبر حتى تلقى مرة خطابا من احدى دور النشر ، موقعا باسم شـاعر كبير ، لفت نظره فى قصـائد يفتوشـنكو امتلاؤها بقصص الحرب ، والغرام الفاجع ، والألم ، فطلب مقابلته ، وهيأ له من فرص النشر ، وشـق طريقـه فى الحياة الأدبيـة ٠

الا أن أمه التى شـهدت مصرع عديد من شـعراء روسيا خافت على ابنها من المصـير المماثل ، واخـذت تمزق ما تصـل اليه يداها ، وتتوسل اليه أن يهتم بشىء آخر « جدى » ٠

ولكن أية قوة تستطيع ان تقاوم موهبة أصيلة نامية ، وهبت نفسها للكلمات ؟ ! وأى شيء أولى عنده الشاعر من قضاء السنين فى البحث عن جديد القوافى ، وتأمل أشكال فنه التى يعتبرها وسيلة للمضمون ؟ !

يلى ذلك صفحات بالغة الأهمية ، يحلل فيها يفتوشنكو مجتمعه الروسى ، الذى ولد نظامه الماركسى من الآلام الباهظة ـ الأمر الذى يؤكد ان المصائب التى تلم بأمة تؤدى الى نتائج عكسية ٠

وخلال هذه الأسطر نتعرف أكثر من ذى قبل على هذه الشخصية الطلقة التى تكره القيود ٠ انظر تعليقه على تعنت ستالين فى تطبيق التسيوعية تطبيقا مطلقا ، ولو ضحى من أجل ذلك بالانسان ٠ وينطبق هذا الوصف ايضا على الأدباء الذين سجلوا ، بكلمات لا نبض فيها ، التقدم الحضارى ممثلا فى الآلات ، وحسب ، دون الالتفات الى العمال أنفسهم ، صناع هذه الآلات ٠٠ واصبيوا بالسعار من اجل الحصول على الجوائز ٠

لا غرو ان يعتبر يفتوشنكو ان كل ما عانت منه روسيا من مظالم وكآبة ، سياسيا وادبيا ، يرجع الى هذا التعنت ، وبصفة خاصة الى اولئك الذين يسهرون تهمة العداء للثورة ضد أعدائهم الشخصيين ، ويعيشون فى بذخ الى جوار الأحياء الشعبية الفقيرة ! ٠

وحين مات ستالين فى ٥ مارس ١٩٥٣ تجسدت له المأساة فى التمسك الاخرق بالأوامر ، اثناء الفوضى الدامية التى وقعت ، وديست فيها الأجساد بالأقدام·هذه المأساة او ما يعرف بالحرب الأهلية (١٩١٨ ــ ١٩٢٢)، التى كشف ستارها سنة ١٩٥٦ ، وحمل على كاهله عبء ــ انقاذ الشباب من العقائد الجامدة واللامبالاة وذلك بتنقية مثلنا التورية ــ على نحو ما عبر عن ذلك فى قصيدة « محطة زيما » ، وجعله واجبا من واجباته فى معارك المستقبل ·

ولعمق ايمان الشاعر بقوة بلاده الذاتية لم يجد أدنى حرج فى مواجهة الاخطاء ، ومكافحة كل ما يحول بين الشعب وبناء هذا المستقبل ، غير آبه بآراء النقاد أو لوم الأصدقاء او المتزمتين الذين يتزيون بأزياء الغيرة الوطنية··

لقد فضحهم الشاعر فى قصيدة نشرتها « البرافدا » مع أنه ليس عضوا فى الحزب ، عن خلفاء ستالين ، اذ صورهم يهاجمونه فوق المنابر ، اعتلاء للموجة ، وفى الليل يحنون الى أيامه الخالية ·

ان الكلمات الصادقة وحدها هى القادرة على انتشال الشبان من حالة الركود ــ الكلمات التى تنفذ الى نفس الشعب ، فيحملها الى المصانع والجامعات والمدارس والمعاهد العلمية ·· فى مسيرة متفتحة واثقة دائمة التدفق،

يتبوأ الشاعر فيها ، اينما حل ، مكانة اثيرة لدى الجماهير، خاصة الشبان الذين يكنون له « اندفاعا صاعقا » ، بنص وصف عايدة مطرجي ادريس في مقابلتها معه بباكو عاصمة جمهورية اذربيجان أثناء انعقاد مؤتمر الكتاب السوفيت لتاييد فيتنام ، التي نشرت في عدد اكتوبر ١٩٦٦ من مجلة « الآداب » •

وتتناول الصفحات الأخيرة من هذه السيرة عرضا للأدباء السوفيت الجدد ، ولقاءه بالعديد من الشعراء ، في مقدمتهم باسترناك ـ الروائي الشاعر ، ويومىء يفتشنكو الى الظروف السيئة التي مرت بها بعض قصائده ، وتذوقه للفن التجريدي . وسياحاته الحرة خارج الاتحاد السوفيتي •

« الثورة » ، دمشق ، ٢٦ مارس ١٩٦٨ •

رســـــول حمـــزاتوف

(١)

يعرف اسم الشـاعر السوفيتي رسـول حمزاتوف كشـاعر من شـعراء الانسـانيـة العظام ، الذين ترجمت اشعارهم الى العديد من لغات العالم ٠

بدأ حياته الشعرية وهو دون العشرين من عمره ٠ وفى سنة ١٩٤٣ صـدر ديوانه الاول « حب قوى وحقد شـديد » ٠

ومنذ هذا التاريخ صدر لرسول حمزاتوف ما يزيد عن عشرين ديوانا ، بالاضافة الى كتابه النثرى « داغستان بلدى » ، الذى يحكى فيه سيرته الشخصية ، وحبه للأشجار والغابات فى بلاده ، وتقديره لأدب الشعب ، الذى يرى فيه ينبوعا رافدا للأدب ككل ٠

من هذه الدواوين : « النجوم العالية » (١٩٦٢) . « جدلية » (١٩٦٣) ، « الخنجر والوردة » (١٩٧٤) ، « كتاب الحب » (١٩٧٤) ، « اساطير » (١٩٧٥) ، « كلمات الشاعر » (١٩٧٩) « جزيرة النساء » (١٩٨١) .

والى جانب الشعر والنثر يمارس رسول حمزاتوف الترجمة من الروسية الى الأفارية . لغة وطنه داغستان ، التي يكتب بها أشعاره .

وممن ترجم لهم يسنين . نكراسوف ، بوشكين ، وغيرهم من الشعراء الذين يعكسون حبا عميقا للحياة في الماضي ، ليس كزمن انقضى ، وانما كنبوءة للمستقبل ، وذلك بهدف التعرف على روسيا الحقيقية التي لا تستسلم ابدا ، والتعرف على شعبها الذي يملك تراثا رائعا ينتقل من جيل الى جيل .

اما من لا يحفل بالماضي وآثاره ، ولا يتورع ان يطلق عليه الرصاص ، فان هذا الرصاص ، كما يقول حمزاتوف، يرتد اليه لا محالة ، في شكل طلقات مدفع .

ويشبه رسول حمزاتوف دوره كشاعر بدور المراسل للوطن ، ولعله يقصد المراسل الحربي ، وان كان شعره يفصح عن الانتماء والتواصل مع العالم أجمع .

واثناء وجود حمزاتوف فى القاهرة للمشاركة فى الندوة الدولية « الأديب وقضايا العصر » ، التى نظمها اتحاد كتاب آسيا وافريقيا بالاشتراك مع اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية ، فى الأيام الأخيرة من شهر مارس الماضى ، كرر حمزاتوف فى معظم أحاديثه الى الكتاب والمثقفين معنى الشاعر المراسل للوطن ، وذكر ان لقاء الشعراء بعضهم ببعض يعد فرصة لأن تصبح أغنية كل شاعر اغنية للشعراء الآخرين .

ورسول حمزاتوف لا يعرف من اللغات غير الروسية والأفارية ، ربما عن قصد ، لكى تبقى لغته ، وهى الأفارية، صافية نقية ، لا تؤثر عليها أو تعكرها لغة أخرى .

ورغم ان الشاعر أبدى فى هذه الملاحظة التى أبديتها كتفسير لعدم معرفة للغات أخرى ، وقال لى « الحق معك » ، فانه يرجع عدم معرفته باللغات الى انه ليست لديه موهبة فى تعلم اللغات ، ولم يتيسر له وهو صغير من يعلمه اياها ، وقد فاته القطار الآن ، وحتى لغته الروسية لا ينطقها بشكل سليم .

ومع هذا لا يشعر رسول حمزاتوف بخيبة أمل ، لأن اللغة ، على أهميتها ، ليست كل شىء .

لذلك كان لابد من وجود مترجم معى عن العربية (أو الانجليزية) الى الروسية أو الأفارية ، وبالعكس ،

لاجراء الحوار معه • وقد تفضل المستشار الثقافى للسفارة السوفيتية بالقـاهرة ، ايجور دانيلوف ، بترتيب هـذا اللقاء مع الشاعر والمترجم ، وقد استغرق ساعة ونصف السـاعة •

● فى بداية هذا الحوار ، هل يمكن أن تطرح مفهومك للشـعر ؟

ـ هذا سؤال مطروح منذ آلاف السنين ، لكنـه لم يجد الجواب الدقيق أو النهائى • فاذا اقدمت انا على الاجابة عليه ، فسيكون ذلك بمثابة عمل طائش • فمهما كان تعريفنـا للشـعر ، سيبقى هـذا التعريف ناقصـا وسخيفا فى جميع الحالات ، لأنه سيظل من الممكن لشاعر آخر أن يدحض هـذا التعريف الذى اقدمه بتعريف آخر •

الا أن هـذا لن يمنعنى من أن ارى أن الشعر هو الحب ، لأنه يتوق الى الحب ، كما يتوق قلب الانسـان الى قلب آخر •

والنثر هو الفكر ، لأنه يتوق الى الفكر •

والشعر يختلف باختـلاف الشـعراء • ولا يصبح حقيقيـا الا عندما يتحول الى ظاهرة حياتيـه ، يتنفسـه الانسان بمشاعره •

واذا كنت احب العواطف ، فانى افضـل العقـل والفكر • وفى رايى أننا لا نحتاج الى الشعر الخالى من

المعنى . ولكنني في نفس الوقت ارى ان الشعر الذى ينطوى على حكم وفلسفات لا جدوى منه .

● وما هي علاقة الشعر بالحياة ؟

ـ اذا كان من الممكن تشبيه الحيـاة بالنهر ، فان الشعر عبارة عن مجرى مائى صغير يمتد بمحـاذاة هـذا النهـر .

وبالنسبة لى الشعر نوع من الحياة ، لأنه نابع من الطبيعة . اما الحياة فهى مثل الطقس .

واذكر هنا ان الشاعر باسترناك كان كثير التجول فى الغابات فى شبابه . ولكن بعد ان تقدمت به السـن قضى معظم حياته فى بيته الريفى ، وابدع فيه مؤلفاته الشعرية .

ولم يكن الشـاعر حافظ شيرازى يحب شـيئا فى الطبيعة والحياة غير الورد ونساء شيراز . ومع ان اصفهان كانت قريبـة منه ، الا انه لم يغادر شـيراز ابدا الى اية مدينة اخرى .

أما الشاعر سعدى ، الذى كانت شيراز مسقط راسه، فكان على عكس شيرازى ، دائم التجول فى بقـاع العالم ،

وهكذا ترى شاعرين من وطن واحد . لا يغادر احدهما المكان الذى يعيش فيه ، ولا يتوقف الآخر عن الترحال !

ومن الشعراء من يرى أنه من الأفضل للشاعر أن يقف على شاطىء البحر ، من ان يلقى بنفسه فيه ٠

وهناك قول عربى مأثور يفيد ان الحمار اذا ذهب الى مدينة عظيمة فلن يتغير ، وسيبقى حمارا ، ولن تستطيع المدينة أن تخلع عليه صفاتها ٠

● ارجو أن تعرض على القراء الموضوعات التى تنسج منها اشعارك ؟

ـ اول هذه الموضوعات الوطن ٠ وأنا اعتبر نفسى مراسلا لوطني ولمنطقتى الى العالم ، ولو ان الشعر لم يبدأ باسمى ، ولن يتوقف عند اسمى ، لأن كل الشعراء كتبوا عن الوطن ٠

الموضوع الثانى فى ابداعى الشعرى هو الزمن الذى نعيش فيه ، ونحن جميعا شهود عيان على عصرنا ٠

وحيث انى رجل ، فمن المفروض ان تكون المرأة احد المواضيع الأساسية فى شعرى ٠ واعتقد ان مقياس الشعر المبدع مدى قدرته على تصوير المرأة ٠

وانا عندما ارى امرأة على شاطىء البحر ، لا ادرى هل هى زينة للبحر ، ام ان البحر زينة للمرأة ؟ !

اعتقد أن كليهما زينة للآخر ٠

المرأة تزين الأرض كلها ، بما فيها من بحار ، وغابات ٠

والأرض ، بكل ما فيها من جمال ، تزين المرأة ٠

● من القصائد القصيرة الجميلة ، المترجمة لك الى اللغة العربية ، قصيدة « الكرة الأرضية » ، لأنها تثبت انك شاعر انساني ، تشعر بامتلاكك للكون كله ٠

كيف عبرت عن هذا المعنى فى هذه القصيدة ؟

ـ ليست الكرة الأرضية بطيخة تشق بالسكين وتلتهم ، وليست أيضا كرة قدم ، تتقاذفها الأقدام ، ولكنها تبدو لى كوجه الحبيبة ، التى لا تملك دائما الا أن تضمها الى صدرك ، وتمسح الدموع المنحدرة من عينيها ٠

● كيف يمكن للشعر أن يكون ، كما تريده فى كتاباتك النثرية ، عاريا ، شجاعا ، لافتا للنظر ؟

ـ الحقيقة انني ، عند كتابة الشعر ، لا افكر فى هذه المسألة ، لأن الشاعر اذا استغرقه التفكير فيما ينبغى أن يكون عليه شعره . فالأفضل ألا يكتب شعرا ٠ كذلك اذا فكر الانسان كيف يسير فى الطريق فلن يصل الى هدفه ، وسيتعثر ، ولن يكون شجاعا ٠

لقد كانت النساء فى الجبال فى الماضى يرتدين الحجاب ، وكذلك كان الحب ٠ وكان الشعر عاريا ، متفتحا ٠

اما الآن فالمرأة تنزع حجابها ، بينما يرتدى الشعر الحجاب ٠

كنا فى الماضى نعرف قصص حب الشعراء البارزين، مثل بوشكين ، ليرمنتوف ، بلوك ، يسنين ، مايا كوفسكى، ولكننا فى أيامنا المعاصرة لا نعرف قصة حب شاعر واحد من الشعراء ، وكلهم يكتبون بصورة عامة ٠

● وهل هذا ينطبق على رسول حمزاتوف ؟

ـ لقد نظمت القصائد الكثيرة عن أمى فاطمة ٠ وكتبت كذلك عن زوجتى التى تحمل نفس الاسم ، وقصائد أخرى عن ابنتى ، واسمها أيضا فاطمة ٠

ولهذا وصفت بأنى متخصص فى العلوم الفاطمية ، على نسق المتخصصين فى العلوم الرياضية ، اذ أن تعبير العلوم الفاطمية ينطق فى الروسية كما تنطق العلوم الرياضية ٠

● ما هى المؤثرات الأساسية التى تعتقد انها شكلت حياتك الشعرية ؟

ـ ولدت بعد الثورة عام ١٩١٧ ، وكانت هذه الثورة بمثابة هزة كبيرة ، ولولاها لما اجتمعنا فى القاهرة، ولما اجريت معى هذا الحديث ٠

ومنذ نشأتى فى الصغر وترات الشعب الداغستانى يعتبر حيا بالنسبة لى ٠

ثم هناك الحرب الكبرى الثانية التى رأيتها وراح ضحيتها عشرون مليونا ، ولقى اثنان من أسرتى فيها مصرعهما ٠

ومما أعده من الهزات الكبيرة فى حياتى ، وترك أثرا فى نفسى لا يمحى ، حضـــور أعمال ستة مؤتمرات فى الاتحاد السوفيتى ، فتحت الباب على مصراعيه لاعادة النظر فى كل شىء ، واتضح خلالها ان ستالين ، الذى أحيط بما يشبه العبادة ، كان بعيدا عن أن يكون شخصية مقدسة ٠

ونحن نشعر بالفرح الذى يخامره القلق ازاء عمليـــة التغيير واعادة البناء اليوم « بيريسترويكا » ، والانفتـــاح « جلاسنوست » نتيجـــة الاختـــلاف فى الراى ، وان كان الاختلاف لا يعدو اختلاف افراد الأسرة الواحدة حين ينتقلون الى بيت جديد ، ويقومون بترتيب أثاثه فى الغرف ٠

● من أى نبع غنى يتدفق حبك للانسان والعالم ؟

ـــ اعتقد ان هذا الحب يرجع الى المهد ، الى الأرض التى ولدت عليها ٠ لقد ولدت على أرض حجرية ، صخرية ، كان من الصعب ان تعطى محصـــولا زراعيا وفيرا ٠ ولكنى ولدت فى بلاد شاســـعة ، ينبع حبى الموروث من أرضها ، ويتجه حبى المكتسب للعالم كله ٠

لقد جعلتنى الأرض ، ارض الوطن ، احب العالم ٠ وعلمنى العالم الذى رأيته ان احب ارض الوطن ٠

« الدستور » ، لندن ، ٢ مايو ١٩٨٨ ٠

(٢)

تعرف الثقافة العربية الشاعر رسول حمزاتوف من خلال الأشعار التي ترجمت له ونشرت في أكثر من كتاب ، كما تعرفه من خلال لقاءاته بالكتاب والشعراء والمثقفين العرب ، وأحاديثه معهم ، أثناء زيارته لبعض الأقطار والعواصم العربية ، حيث يستقبل كشاعر عالمي من شعراء العصر القلائل الذين يجمعون في ابداعهم بين هموم وطنهم ، وقضايا الانسانية .

في هذه الأشعار التي يقدمها رسول حمزاتوف ينفتح الجزئي والخاص على الكلي والعام ، ويتضافر ما هو محلي مع ما هو عالمي ، وتتصل الذات بالآخرين ، ويكتسب الحلم والخيال قوة المادة والتحقق ، وتتلازم المقدمات مع النتائج تلازما جدليا ، يولد فيه النقيض من النقيض .

ومع هذا فرسول حمزاتوف شاعر واقعي يكتب ما هو واضح وسهل ، لا ينأى عن الأرض « المخبولة » ــ على حد تعبيره ــ بما تزخر به من معارك ضارية ، ولا يغفل عما فيها من زيف ولامبالاة ، ولا يفقد الأمل في صلاح العالم . يعزف رسالة الشاعر على الوتر المشدود للقيثارة، لا على الوتر المرتخي الذي تعلو فيه الألحان الناشزة .

على هذا الوتر المشدود يغني رسول حمزاتوف حياة الشعب وتاريخه الممتزج بالجغرافيا . يبكي ما في الحياة

والتاريخ من كد وبؤس وأوجاع وأحزان ، وينشد ما فيها من حقيقة وانتصارات وبطولة وسعادة وجمال ، داعيا الى الحب والفرح والاخاء بين البشر ، والى الدفاع عن السلام العادل ، والحكمة ، والسمو ٠

هذه رؤية رسول حمزاتوف كشاعر عميق الحس بالانسان والطبيعة ، على وعى كبير بالتحولات التى تجرى فى حياتنا ٠٠ انه يرفض اطلاق الرصاص من المسدسات على الماضى ، ويرفض الاستهانة بدساتير الآباء ، أو تشويه التاريخ ، لكيلا يطلق المستقبل مدافعه على حاضرنا ٠ ويخاطب أمه الجبلية التى تنير له الطريق بالشموع ، كما يخاطب « نساء الارض » ، ويطالع فى طيور السمار ارواح الشهداء ، وتتحدث بلسانه النجوم العالية فى العتمة الزرقاء ، كأنها شخصيات حية ، وتنطق الضفادع فى المستنقعات الآمنة لنخيف الطيور الجارحة ٠

يقول رسول حمزاتوف عن رسالة الشاعر :

« كان الرجال فى جبال داغستان رمز الصداقة وازدهارها بين الشاعر يهدون صفوة الأحباب والخلان اغلى الثياب والسيوف والجياد والخناجر ٠

أما انا ٠٠ فانني ، يا أيها الصحاب ، اهدى اليكم قصائدى ، رمز الصداقة والاخاء ، فانها لدى افضل الجياد والثياب ، وانها يا اصدقائى صعدتى (قناة الرمح) السمراء » ٠

(مختارات من الشعر السوفييتى ترجمة عبدالرحمن الخميسى وآخرين ، دار رادوغا ، موسكو ١٩٨٥) ٠

يكتب رسول حمزاتوف اشعاره كلها باللغة الأفارية، لغة داغستان التى يتحدث بها الآن نحو نصف مليون نسمة ينتمون الى عشرين جنسية ، لكل منها ادبها ووسائل تعبيرها ٠ وهو لا يجيد غير هذه اللغة ، حتى يحتفظ بنقائها. ولكنه فى نفس الوقت يحمل كل التقدير للغة الروسية التى ترجمت اليها أشعاره ، وكسب منها آلاف القراء ٠

وقليل من يعرف ان رسول حمزاتوف ابن شاعر معروف فى اقاليم داغستان يدعى حمزاتوف تساداسا ، كان يقرأ اللغة العربية بطلاقة كما سنطالع فى هذا الحوار ، ويترجم عنها الى اللغة الأفارية ، بعض نصوص الأدب الروسى من عصر القيصرية ، قبل الثورة ٠

ولابد من الاشارة فى هذا التقديم الى ان رسول حمزاتوف شاعر شديد التواضع ، لا يختلف فى مظهره عن أى مواطن سوفيتى يعمل فى المزارع أو المصانع ٠ وهو هادىء الطبع جدا ، خافت الصوت ، النقيت به فى احدى زياراته للقاهرة ضمن وفد الكتاب السوفييت ، وجرى الحوار من خلال مترجم روسى يجيد الأفارية والعربية بنفس القدر ٠

عن دور هذا الأب فى حياة الابن رسول حمزاتوف وعن مكانته فى الشعر الأفارى ، يقول :

ـ كان ابى معلمى الأول . قبل وجوده كان هنـاك شعر للحب ، وشعر آخر للنضال ، ولكنهـا كانا كالوترين المتباعدين ، فأضـاف ابى الى هذين الوترين وترا ثالثـا هو الموضـوع الاجتماعى ، وجعله ضمن اوتار آلة الشعر.

ما هو الأسـلوب أو المنهـج الذى كان يتنـاول به موضـوعه ؟

ـ كان ابى شاعر الحياة بكل ما فى هذه العبارة من معنى ، يصـور الأحداث والوقـائع والهزات فى بعدهـا الاجتماعى الصميم والحميم .

لننتقل الى الحديث عن الابن رسول ، الذى حقق شهرة أكبر من شهرة أبيه ، ولنبدأ بالتعرف على علاقتك بالثقافة العربية .

ـ علاقتى بالثقافة العربية كانت عن طريق ابى ، فقد كان يتردد على المدارس العربية فى روسيا .

وعندما لم يجد مؤلفات تشيكوف مترجمة الى اللغـة الأفارية ، اخذ يقرأ مؤلفاته باللغة العربية التى يجيدهـا ، على حين أنه لم يكن يعرف الروسية ، ومن اللغة العربيـة استطاع أن يترجم تشيكوف الى الأفارية .

اذا اردنا ان نضع يدنا على الفروق الأساسـية بين الأب والابن ، لتتضح شخصيتك الفنية ، فماذا تذكر ؟

ـ لم يتعلم أبى اللغـة الروسية كما اشرت . هذه ظاهرة فريدة من نوعها . ولو أننى اكتفيت بما تلقيته فى المدرسـة فقط ، دون ان اتعـلم ما تعلمتـه من ابى . لمـا اصبحت شاعرا .

ولكن الشاعر لا يصبح شاعرا الا اذا كان مسـتقلا فى ابداعه .

واذكر أنى فى بداية حياتى الشعرية عندما كنت متاثرا بابداع أبى الشعرى ، كان النـاس فى بلدى يعتقدون ان أبى هو الذى يكتب هـذا الشعر ولست أنا . وكان البعض منهم يسألنى باستنكار ظنا منه ان هـذه الأشـعار التى اتغنى بها أشعاره: ماذا حل بأبيك ؟ كان فى المـاضى يكتب شعرا رائعا . اما الآن فقد تدهور مستواه !

واعتقد الآن ان وجود شاعرين فى بيت واحد مسألة تفوق المعتـاد ، لأن معناه ان المحصـول الزراعى ليكتـار الأرض وفير جدا .

لذلك لم يقدر لى ان اكون شاعرا حقيقيا معترفا به الا عندما اصبحت مسـتقلا ، أملك شخصـية خاصـة ، ولا اقترن بأبى الا بالاسم .

يتطابق ما ترويه هنا ، مع المثل الشعبى التونسى ((اسمين فى الدوار يحيروا)) . وما دمنا نتحدث عن جيلين مختلفين من اجيال الشعر ، فما هو فى رايك محك الشـعر الأصيل ؟

ـ لا يمكن للشاعر ان يصبح شاعرا اذا تأثر بابداع شاعر آخر · وانا لا احب الشعراء الذين يكتبون اشعارهم تحت تأثير ابداع شعراء آخرين ولو كان شعرى ، لأنهم يقلدون غيرهم · وطالما ان الأصل موجود ، فلا حاجة لنا للصورة او الصدى ·

ولكل شاعر زمنه · والزمن هو الذى يجعل الشاعر اصيلا · والشاعر الأصيل هو الذى يتعرف الناس على اشعاره دون ان يكتب عليها اسمه ·

والموهبة الحقة شيء نادر جدا ، وهى لا تنمو بسرعة مثل النباتات بعد المطر ، وانما تحتاج دائما لوقت طويل ، ولجهد ضخم ·

كشاعر شديد الارتباط بالارض والانسان ، اود ان اسألك :

كيف يتكون الشاعر :

ـ للشاعر ثلاثة معلمين :

الطبيعة ، والتجربة ، وعبقرية القرون ، اى الزمن ·

والشاعر بمثابة فراشة تجمع العسل من مختلف الزهور · وهو شاهد عيان على عصره ، ومراسل وطنه الى العالم ·

ان قضية الشاعر الأساسية ليست المشاركة فقط فى الحياة ، بقدر ما هى استيعاب هذه الحياة ·

واذا كان القلق يعد صفة طبيعية بالنسبة لكل الناس.

فانها مهنة الشاعر القادر على التعبير عن هـذا القلق ، بينمـا لا يستطيع عامة النـاس أن يصـلوا الى هـذا المستوى فى التعبير او يحفلوا به ٠

هذا عن الشاعر ٠ ماذا عن الشعر ؟

ـ الشعر مثل مطارحة الحب ، ظاهرة حياتيـة ، وان مضى فى بعض الحالات فى اتجاه ، ومضت الحياة فى اتجـاه آخر ٠

ولكنه قادر على ان يحيل العصر الى ساعة واحدة ، مثلما يقدر على ان يحيل الساعة الواحدة الى عصر كامل ٠

ما هى المراحـل التى تمر بها قصـائدك حتى تلتقى بالقراء فى انحاء العالم ؟

ـ أعتقد أن القصيدة فى بدايتها تكون ملكا لى ، وذلك الى أن اقرأها على صـديقى ، فاذا قبل الصـديق القصيدة ، ووقعت فى نفسه موقعـا حسنا ، فانى اقرؤها عندئذ على داغستان ، لأنهـا غدت ملكا للآخرين ٠ فاذا قبلتها داغستان ، فلن اخشى شيئا ، واقرؤها على العالم كـله ٠

معنى ذلك ان الشىء الذى كان ملكا لى وحدى اصبح ملكا للانسانية كلها ٠

وهناك من يرى أن الشعر كلما اعتمد على الصدق والصدق كان افضل ٠

· يفيض شعرك بالتعاطف مع الانسان كانسان ، وبالحب الغامر له ، كمايفيض بالتنديد بقوى الشر والغربة·

فكيف ترى الصراع بين الخير والشر ؟

ـ انا لست متخصصا فى القضايا النظرية · ومع هذا فانى ارى ان للشعر جناحين : ان أحب ، وان لا احب· الا ان جناح الحب فى اشعارى هو الأكبر ·

وهذا لا يعنى اننى لا الاحظ الشىء الذى لا احبه ، فانا اعارض الشر واقف ضده · وقد صدر لى كتاب بعنوان « الخطيئة والعقاب » عبارة عن هجاء فكاهى موجه ضد النفاق والرياء والكذب ، وضد السياسة التى تؤدى الى الحقد والحروب ·

كيف ترى عصرنا فى ضوء هذا الوعى الانسانى بصراع القوى المتناقضة ؟

ـ اننا نعيش فى عصر التقدم التكنولوجى · والناس يحلمون بالوصول الى كواكب ونجوم وعوالم أخرى·لكنهم يتناسون ان النجوم العالية هى الناس ، هى البشر ، الذين يعيشون حولهم على الأرض ·

ومهمتى كشاعر أن أجسد ما كان فى الماضى ، وان افكر فى المستقبل ، وان اجد الطريق المؤدى الى قلب الانسان ، فاذا وجدت هذا الطريق الى هذا القلب ، فان الانسانية يمكن ان تصل بدورها الى العوالم الاخرى·

ونحن نتطلع الى هـذه العوالم الأخرى البعيـدة ، ما هى وجهة نظرك كعضو فى مجلس السوفييت الأعلى ، فى المتغيرات السياسية والاجتماعية التى يقودها بنجـاح فى الاتحاد السوفيتى جورباتشوف وتعرف بـ « البيروستوريكا » و « الجلاسنوست » ؟

ـ لاشك ان الديمقراطية التى تسمح بالاختلاف شىء جيد ، يحظى بموافقة القيادات ، ونحن ننقد فى ظلهـا الاجماع والعقلية الواحدة ، ونحيى حوار الدولة مع الشعب فى القضايا الجارية ،

ولكن البيروقراطية لا يروقها هـذا ، وترفض أن تتخلى عن مناصبها ، وتواصل المقاومة وهى تطرح المهـام امـام الأدب ، بعد ان كان الأدب هو الذى يطرح المهـام لنفسـه !

ان الديمقراطية هى التى تؤدى الى الابداع ، وتعيد بناء البيت ، وتدفع الى الانتقال الى بيت جديد ،

وهى التى تعيد الى الحياة الكتب التى كانت ممنوعة من النشر ، والأسماء التى كانت محتجبة او مهاجرة ،

والكل يرحب بحرية التعبير ، ويدرك ان اعـادة البناء والمكاشفة ثورة حقيقية ، لا تنكر المـاضى ، ولكنها تثبت وترسخ تقاليد الشعب ، وكل ما يملكه من فضائل ،

« الشعر » ، القاهرة ، اكتوبر ١٩٩٠ ،

ادوارد البـــى

اتيح لأربعة من الكتاب والباحثين المصريين أن يعقدوا، وهم فى القاهرة ، حوارا طويلا مع الكاتب الأمريكى ادوارد البى ، استغرق أكثر من ساعة ، عبر خط الكترونى أعده المركز الثقافى الأمريكى بالقـاهرة مع الكاتب فى بيته بولاية اوكلاهوما ، التى تبعد حوالى ثلاثـة آلاف كيلو متر عن واشنطن • واستمع الى الحوار عدد من المثقفين المصريين والأجانب المهتمين بالمسرح الأمريكى بعامة ، ومسرح البى بخاصـة •

تألفت المجموعة المصرية المتحاورة مع ادوارد البى من الكاتبين المسرحيين عبد العزيز حمودة ، عميد كلية آداب القاهرة ، ومحمد سلماوى ، الذى تشبه تجربته المسرحية فى أوائل الثمانينات تجربة البى فى مجـال العبث النابع من الواقع المباشر •

كما اشتركت فى الحوار الدكتورة نبوية واكد ، الحاصلة على درجة الدكتوراه فى ادب البى ، والدكتورة نادية سليمان ، أستاذة الأدب الانجليزى بجامعة عين شمس .

وادوارد البى (١٩٢٨) أحد أعمدة المسرح الأمريكى المعاصر . ارتبط اسمه بمجموعة الأسماء التى حققت للمسرح الأمريكى مكانته الوطيدة : يوجين أونيل ، وتنيسى وليامز ، وآرثر ميللر . عاش منذ طفولته المبكرة حياة مضطربة ، تصر على كتابة الشعر والقصة والمسرح ، ويصر صاحبها على أن يكون كاتبا يأخذ موقعه فى الدراما الحديثة ، ويدرى قيمة التفاؤل فى الحياة .

واهم مسرحيات البى : « حكاية حديقة الحيوان » . « موت بيسى سميث » ، « الحلم الأمريكى » ، « من يخاف فرجينا وولف ؟ » .

فى بداية الحوار ذكر البى أنه قليل التفكير فى نفسه. ولهذا يصعب عليه أن يتحدث عن حياته الخاصة ، التى يمارسها كأى انسان آخر ، فهو يفكر ، ويقرأ ، ويتعامل مع المجتمع ، ويشعر أن له حياة مشرقة ، مفيدة .

وككاتب درامى يحتفظ بنقائه الداخلى ، يعتقد البى أن اسلوبه يتحسن كلما مضى فى الكتابة . فهو لا يزال

فى منتصف الطريق • ومن الخطورة لمن يرى انه فى منتصف الطريق ان يعطى استنتاجات نهائية عن انتاجه • كما انه من الصعوبة اختيار اعماله المسرحية عقليا •

ويذكر البى انه كتب ٢٥ مسرحية يقسمها بحسب اسلوبها ، ومضمون الحداثة التى تنتمى اليها ، لا بحسب ترتيبها الزمنى • ويأمل ان يكتب عددا مماثلا لهذه الأعمال •

اما مدى استمتاع الجمهور المشاهد بما كتب ، وما فى مسرحياته من جاذبية ، فهذه مسألة اخرى •

ولكن ما يمكن لالبى أن يقوله عن هذه المسرحيات انها تتجه ، فى اكتشافها لما يدور فى ذهنه ، الى تغيير الطابع والتقاليد والتوقعات ، سواء بالنسبة لمسرحياته الأولى او الأخيرة ، وانها تعلى من الوهم والتخيل فى عالم حقائقه الثابتة نسبية •

وعن مضمون هذه المسرحيات اشار ادوارد البى الى ان اهتمامه الأساسى بالناس فى العصر الحديث يرجع الى اعتقاده انهم ليسوا فى حالة عقلية سوية ، وانهم يعيشون فى عزلة او قطيعة ، تفشل معها كل محاولات الاتصال بالآخرين ، مما يدفع الى التفكير فى البداية من نقطة مغايرة، تتحقق فيها العلاقة بين الفرد والشىء مثل : (**الفراش** ،

المراة ، السجادة ، منعطف طريق) أو بين الفرد والحيوان، كما يقول جيرى فى مسرحيـة « حكاية حديقة الحيوان » ، اولى اعمال البى ، التى تتضمن كل افـكاره الفكاهيـة الساخرة التى تمزق كل شىء ٠

ويرى البى انه فى مسرحياته التجريبية لفت انظـار الناس الى امكانات هـذا الشـكل الفنى ، ووضعهم أمام مسئولبتهم وضميرهم (وهذه بلا شك قضايا عامة) ، وان كان يشك فى نجاحه ٠

ومهنـة الكتابـة ، فى عرف ادوارد البى ، مهنـة مقدسة . تنبع من اللاوعى ، وثمـة علاقة قوية بين مسرحه وبين اللاوعى (وليس بين مسرحه والعبث) ٠

وردا على سؤال خاص بأثر الكتاب جان جينيه ، ويونسكو ، وبيراندللو ، وتشيكوف . قال البى ان لهؤلاء الكتاب سطوة ، وان تاريخ المسرح ، فى السنوات المـائة المـاضية ، يملأ عقله ، وانه تأثر بكل مسرحيـة قراها أو شاهدها ٠

ولأن مسرح البى يعتمد على التحليل النفسى ، أكد أن الفرق بين المحلل النفسى وبين الكاتب ، ان الأول يجب ان يجد اجابات على الأسـئلة المطروحـة ، وليس على الكاتب ان يجد مثل هذه الاجابات ٠

وفى مجـال التحليل النفسى هنـاك مدرسـتان : مدرسة تضع الفرد فى احتكاك مباشر مع المجتمع ، ومدرسة ثانية ، وهى ، فى تقديره ، الأهم ، تضـع الانسان فى احتكاك مباشر مع ذاته ٠

وتحت تاثير هذا الاحتكاك مع الذات ، تصبح ضمائر الشخصـيات المسرحيـة ، وعقلها الباطن ، مصـدر قلق للمشاهدين ، لا لراحتهم النفسية ٠

وقليـل من يعرف ان ادوارد البى يقوم باخـراج مسرحياته بنفسه فى الولايات المتحدة الأمريكية واوروبا ، ويقول البى انه يتعلم من المسرحيات التى يخرجها ، كما يتعلم من كل كتاب يقرؤه ٠ ورغم اشتغاله بالاخراج ، فهو يعتبر ان المسرح مؤلف او نص أولا ٠

ويلاحظ ان استقبال الجمهور الأوروبى لمسرحيـاته التجريبية يفوق اقبال الجمهور الأمريكى ٠

ولعل هذا يرجع الى ان تاثره بالمسرح الانجليزى اعمق من تاثره بالمسرح الأمريكى ٠ كما أن تقديره للكتاب الانجليز يزيد عن تقديره للكتاب الأمريكيين ، ولو انه يرى ان الجيل الجديد من الكتاب المسرحيين فى امريكا يعد اكثر اهميـة من الأجيـال السابقة ، لأن أعمالهم ليست من المسرح التجـارى ، وانما من المسرح التجريبى الجيد،

الذى لا يحظى باقبـال الجمهور بالقدر الكافى • وهـذا دليل على أن المسرح الجـاد فى أمريكا يتضاءل حجمه •

ومن الأسئلة المهمة التى وجهت الى ادوارد البى فى الحوار ، سؤال عن طريقته فى تلقى الالهـام ، وعادته فى الكتابة • وكانت اجابتـه أنه لا يعرف ابدا كيف يأتيه الهام الأفكار • ولكن عندما يبدأ التفكير فى مسرحية، تأخذ الشخصـيات فى التـكوين أمامه ، كما يتـكون فى نفس الوقت المنـاخ الذى تتحرك فيه • وعـادة ما يحتفظ البى فى رأسـه بأكثر من مسرحية فى آن واحد • ويقدر البى الزمن الذى يحتفظ فيه بالمسرحية فى رأسه من ستة شهور حتى ٤٥ سنة !

وعندما يشعر بوعيه الكامل بالحاح الكتابة ، يبدأ بشكل عادى فى اى وقت ، وفى أى مكان ، حتى لو كان فى طائرة ، لأن المسرحيـة تكون قد تكاملت فى رأسـه قبل ان يضعها على الورق • وهو يكتب ثلاث أو اربع ساعات يوميا ، فى الصباح الباكر ، قبل أن يدهم عقله أى شىء آخر • وتنتهى كتابة المسرحية فى نحو أربعة شهور • ثم يراجعها ويصحح بعض الأخطاء الطفيفة ، التى لا تتجاوز عادة ٥٪ من النص •

ويتهكم ادوارد البى على الكتـاب الذين يكتبون ثمانى او عشر مسودات ، ويصفهم بالغباء • ولكثرة هجوم

النقاد على مسرحه ، قال البى ان افضل مسرحياته هى تلك التى لم يكتبها بعد ، أو التى يكتبها هذه اللحظة ، لأنه لم يقل أحد من النقاد ، بعد ، انها سيئة !

وعلاقة ادوارد البى بالموسيقا علاقة حميمة ، فهو يستمع اليها فى الصباح ، قبل ان يتوجه الى عمله ، لكى تنشط عقله واحاسيسه • وفى رايه أن الصلة قوية جدا بين الدراما والسيمفونية • فللمسرحية تكوينها الموسيقى الذى تتطابق فيه الدراما مع الموسيقا • وهو محب للموسيقا الكلاسيكية • وعندما كان صغيرا كان يتمنى أن يكون مؤلفا موسيقيا • ولكنه لم يصبح كذلك ابدا •

واخيرا سئل البى عن الكتابة للسينما والتليفزيون فاعترف بأنه يحب كتابة الأفلام . الا ان كاتب القصة السينمائية لا يستطيع ان يتحكم فى قصته فى الفيلم . ووصف التليفزيون الأمريكى بأنه تليفزيون تجارى ، وليس بالمنزل السعيد للكاتب الجاد •

لهذا يتجه اغلب الكتاب فى امريكا الى المسرح اكثر من السينما والتليفزيون ، لأنهم ، فى المسرح ، يستطيعون أن يجسدوا افكارهم بالطريقة التى يرونها بها ، ويريدونها لها •

« الدستور » ، لندن • ٧ يوليو ١٩٨٦ .

أندريه شديد

زارت القاهرة الشاعرة اللبنانية الأصل اندريه شديد ، والتى تقيم فى باريس منذ عام ١٩٤٨ ٠

وعبر ثلاثة لقاءات متتالية فى المركز الثقافى الفرنسى فى مصر الجديدة ، تحدثت اندريه شديد بالفرنسية ، امام بضع عشرات من الحاضرين ، عن تجربتها الأدبية المتنوعة ، وعلاقتها الحميمة بالتاريخ والأسطورة ، والقت ، بصوتها الهادىء العميق ، مختارات من قصائدها التى تتغنى فيها بمصر وآثارها الفرعونية ، وبالحياة والحب والموت ، وبعواطف المرأة الشرقية ، والفن ٠ وتجلت فى مختاراتها الشعرية عنايتها الفائقة بجرس الكلمات ، وايقاعها الواضح ٠

واندريه شديد مصرية الأصل تحمل الهوية اللبنانية، وتقيم بصفة دائمة فى باريس • صـدر لها بالفرنسية ثلاثة عشر ديوانـا شـعريا ، وست روايات بدأت نشرها سنة ١٩٥٢ ، اهمها « **نفرتيتى وحلم اخناتون** » ، « **المدينـة الخصبة** » ، « **اليوم السادس** » ، وثلاث مسرحيـات ، ومجموعتان من القصص القصيرة •

قبل عودة الشاعرة أندريه شديد الى فرنسـا ، عقدت معها هـذا الحديث القصير بالانجليزية •

سألتها : هل تلقت اجابة شافية عن واحة التساؤلات التى تثيرها فى كتابتها الشعرية والروائية والمسرحية ، عن الحياة، والحب ، والموت ؟

ابتسمت ابتسامة خفيفة ، وقالت :

ـ ليس من اجابة على هذه الأسئلة • ثمة اسئلة ، يطرحها الكاتب فى اعماله فقط ، لكنـه لا يبحث لها عن اجابة ، لاستحالة العثور على الاجابة • ويكفى انه يوقظ هذه الأسئلة الكامنة فى نفوس القراء القلقة •

وتجربتك فى الخلق • كيف تكتبين قصائدك وروايتك ومسرحياتك ؟

ـ يختلف الخلق الفنى فى طبيعتـه من شـكل الى شـكل •

فبالنسبة الى الشعر اكتبه فورا ، تحت تاثير الانفعال الذى اخضـــع له ، والفـكرة التى تخطـر فى ذهنى • ثم أراجع ما كتبت حتى يتكامل الشكل الفنى • ومثل هـذه المراجعة لها ، عندى ، اهمية بالغة •

الكتابة تخرج تلقائيـة • لكنهـا تحتاج الى قدرة الصنعة والاحكام •

اما بالنسبة الى الروايـة فانى قد اعايش الفكرة العامة نحو ستة اشهر او سنة كاملة • واذا بقيت ظلالها قائمة فى نفسى طوال هـذا الزمن ، فانى اكتبهـا بعد ان تكون قد نضجت •

ولكن اذا تلاشت من ذهنى فانها تنتهى ، ولا احاول اعادتهـا •

الى اى مدى تتابعين فى باريس ، وبلغتك الفرنسية او الانجليزية ، ادبنـا العربى المعاصر ؟

ـ اقرأ للأدباء العرب ، واذكر منهم ، هنا ، يوسف ادريس ، الذى يعد قصاصـا بارعا ، ونجيب محفـوظ ، وتوفيق الحكيم ، والشاعر أدونيس •

واقرأ بالفرنسية لجورج شحادة •

انه كاتب تتميز لغته بشاعرية عالية •

بحكم كونك شرقية تعيش فى الغرب ، لا مفر من مواجهة قضية الشرق والغرب يوميا • لكن من يطالع أدبك واحاديثك يلاحظ حرصك على ايجاد صيغة من صيغ التناغم بينها ، على حين انهما قد يكونان على طرفى نقيض •

ـ الانسان الذى نلتقى به فى علاقات كل يوم واحد • والمشاكل الانسانية واحدة • حقا يوجد تناقض ، والحضارات تؤكد الخلافات ، ولكنى أحب التناغم • ان التناغم حدث فى التاريخ من خلال اختلاط الشعوب بعضها ببعض •

يجد الشاعر والكاتب نفسه فى تيارات متعددة : بعضها كلاسيكى ينحدر من العصور الماضية ، وبعضها حديث ينبض به العصر • أين تقفين بانتاجك الشعرى خاصة بين هذه التيارات ؟

ـ شعرى ليس كلاسيكيا . لكنه ينتمى الى الحداثة فى الشكل والمعنى • وتستخدم فيه الكلمات البسيطة • والكلمات الواضحة لاتتعارض مع التعبير عن الأشياء الغامضة فى هذا العالم • بمعنى ان التعبير يبقى واضحا ، حتى عند التعبير عن المناطق الغامضة •

تتناول بعض اعمالك التاريخ الفرعونى • كما نجد فى رواية ((نفرتيتى أو حلم اخناتون)) ـ ((مدينة الآفاق)) •

ـ لست مؤرخة . انني اكتب فقط عن المساكل الانسانية ، مثل الحب ، والكره ، والقتل ، كما اتصورها . متخذة التاريخ رداء خارجيا .

واتجاهي الى التاريخ ليس كثيرا .

هل يمكن ان نتعرف على ملامح حياتك ؟ (*)

ـ ولدت وقضيت طفولتي في القاهرة . ومصر كدولة متالية في ارضها وشعبها تترك بصماتهـا العميقـة على الانسـان . في سن الطفولة كنا نقضي الصيف كثيرا في فرنسا . وفي سنة ١٩٤٣ ذهبت مع زوجي الى لبنـان حيث كان يدرس الطب ، وقضيت في بيروت ثلاث سنين ، تعرفت فيها على لبنان ، واحببتها جدا .

وفي سنة ١٩٤٦ ذهبنا للاقامة في باريس ، بناء على اختيارنا الحر ، وحبنا المشترك لهذه المدينـة ، التي تتميز بالحرية والجمـال ، والتي كان لها اثرها في نفسي منذ الصغر .

وكنت اتطرق في كتاباتي الى الشرق الأوسـط ، ليس بسبب شعور بالوحشـة ، وانما لأن روح الشرق الأوسط الشاعرية تنبض في عروقي . وهـذه الكتابات التي اقدمها تختلط بشمس الشرق وتعاسته ، وعظمته ، وفكاهته ، وتراجيديته .

(*) « الثقافة » ، القاهرة ، يونيه ١٩٨٢ .

كيف عشت الحضارات المختلفة « الشرقية والغربية » ؟

ـ نظرا لأنى لم أكن منفية فى الغرب لأحس بتعاسة المنفى ، ولم أشعر بصعوبة التأقلم ، فقد عشت هذه الحضارات ، وكنت أجد دائما نقط التلاقى والتناغم ، لا التنافر والتضاد • وأعتقد أن الاتصال ممكن بين هذه الحضارات المختلفة • قد لا نستطيع أن ندعى أن الاتصال يمكن أن يتحقق بدون مشاكل ، ولكنه ، مع هذا ، ممكن الحدوث •

وما أشعر بالرغبة فى التعبير عنه ، تحت الصور المختلفة للحضارات ، هو ما اعتبره أساسيا لكل شخص ولكل فن ، وهو : الموت ، الحب ، الحياة •

هل بدأت حياتك الأدبية بالشعر ؟

ـ فى سن صغيرة نسبيا كنت أكتب الشعر فقط ، واستمرت كتابة الشعر بعد ذلك لمدة عشر سنوات ، من السابعة عشرة الى السابعة والعشرين ، عن الكون بما يمور فيه ، وعن نواحيه الغامضة ، الكامنة فى كل انسان ، والبحث عن مخارج مختلفة لقلق الانسان وحيرته ، والشعر هو أحد هذه المخارج أو النوافذ التى نتطلع من خلالها الى السمو والكمال • ولأن الشعر يعبر عن الحرية، وليس له حدود ، يستطيع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة •

هل الشعر بالنسبة اليك الهـام ام صنعة ؟

ـ فى بعض الأحيان يهب الالهام للفنان ما لا يهبه اى شيء آخر • لكن هذا لا ينتقص من قيمة الصنعة ، فليس من الكافى أن يعتمد الشاعر على الالهام فقط ، بل يجب أن يضع هـذا الالهام فى قالب متقن احتراما للقارىء • وبذلك يقدم ، بصورة وبأخرى ، عمـلا متـكاملا لفن بلا قيود ، الالهام فيه ليس كل شيء •

والشعر يلبى نداء النفس الانسانية ، الا أن الالهام يعد أحد مكوناته ومتطلباته •

يجب على الشاعر ان يتلقى اللغة ، ويغير فيهـا ، ويطوعها لفكره ، حتى يصل الى التعبير الجيد عن الغموض الطبيعى للحيـاة ، ويفى به • وهـذا كله يتطلب الجد ، والعناية والوضـوح • ومثل البحث يؤكد الغناء والنغم اللذين يكونان نسيج الكون •

قمت بعد ذلك بكتابة القصص ؟

ـ بدون ان اترك الشـعر كتبت قصصا قصـيرة وروايـات • وذلك لأنى اريد أن أكون اقـرب للواقـع اليومى ، وللأشـخاص الآخـرين ، حتى المس ايديهـم ووجوههم ، بمعنى ان المس مشاكلهم وسعادتهم ، مأساتهم ومرحهم ، وان كنت اشك فى هـذا التوصيف ، وفى مدى الاقتراب من المنهج السيكولوجى •

كنت اريد ان أتكلم بنفس الصوت ، فى القصة والرواية ، عن الأشياء اليومية ، والاستمرارية ، عن الأشياء الملموسة والأشياء المعنوية الزائلة ، فالحياة تضم هذا وذاك ، وان أعبر عن هذه الأشياء بلغة بسيطة مباشرة، من خلال معالجة الرواية كانها اسطورة ٠

وفى كل عمل روائى يخامرنى احساس او رغبة أن اضع على راس كتبى نفس العبارة التى استخدمتها فى كتاب « اليوم السادس » وكتابى الأخير « السلالم على الرمال » التى قالها أفلاطون ومعناها ان القارىء يعتقد ان ما يقرؤه خرافة ، والحقيقة أنه قصة واقعية ٠

على ان اتخاذ الموضوع والمكان من مصر يمنحنى بعدا نفسيا ، ويقربنى من جذور الأشياء ٠ ولو ان هذا يتم بالطبع بصورة طبيعية غير مفتعلة ٠

وماذا عن المسرح ؟

ـ المسرح حلم قديم ٠ اثناء وجودى فى المدرسة ، وخلال دروس الحساب ، كنت اخبىء المسرحيات فى الكراريس ٠ قرات بشغف جميع الأشكال المسرحية . وكانت تعد قراءتى المفضلة ٠ بعد ذلك كتبت بشغف كهاوية مسرحيات كثيرة٠وكان اعجابى بالمسرح الاغريقى بلا حدود٠ كما كان اعجابى شديدا بشكسبير ، موليير ، تشيكوف ، وبعد ذلك بيكيت ٠

كنت متخوفة جدا من كتابة المسرحيات . الى أن تجرأت ، بعد بلوغ سن الأربعين ،وخضت غمارها ، وكتبت ثلاث مسرحيات ، واحدة وراء الأخرى ٠

وهذه المسرحيات قدمتها الى فرق الشباب المسرحية . واتيح لى أن أرى امام عينى الكلمات التى أكتبها ٠

ما هى موضوعات هذه المسرحيات ؟

ــ فى معظم الأحيان تدور حول لعبة السلطة وجوانبها المضحكة ، وجوانبها المأساوية ٠ كما انها تعكس الضعف والقوة فى الحب والحياة ، والأشكال المختلفة للارادة الانسانية ٠

ما مدى ايمانك بمستقبل الكتابة ؟

ــ أومن بمستقبل كل شىء ٠ وعندى ثقة كاملة فى الذهن الابتكارى للانسان ، وقدرة الكلمة على البقاء ٠

نحن لا نزال فى بداية الرحلة ، ولو أن طاقتنا لمست كبيرة ، ونفسنا ليس طويلا . ونظرتنا تقف عند الحدود ٠

ولكن سيجىء فى المستقبل جيل آخر يتمتع بحدود اكبر فى النظر ، ويهتدى الى تحديد اكبر من حيث الصورة، والكلمة ، والتقنية ٠

« الانوار » ، بيروت ، ٢٥ ابريل ١٩٨٢ ٠

للمـــؤلف

ـــ « العمارة الانسانية للمهندس حسن فتحى »
مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ٠

ـــ « مواقف ثقافيـــة »
مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

ـــ « سعد اردش رجل المسرح »
دار الف للنشر ، القاهرة ، ١٩٨٥ ٠

ـــ « صلاح عبد الصبور : الحياة والموت »
المركز القومى للفنون التشكيلية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ٠

ـــ « نجيب محفوظ حياته وادبـه »
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ ٠

ـــ « حســين عفيـف »
المكتبـة الثقافية (٤٠٦) ، ١٩٨٦ ٠

ـــ « توفيق الحكيم » (١٨٩٨ ـــ ١٩٨٧)
المكتبـة الثقافية (٤٢٦) ، ١٩٨٧ ٠

ـــ « **وداعا توفيق الحكيم** »
بالاشتراك ، المركز القومي للآداب ، القاهرة ، ١٩٨٨ ٠

ـــ « **مملكة الشعراء** »
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨ ٠

ـــ « **الذكرى المئوية للفنان محمد ناجى** » (١٨٨٨ ـ ١٩٥٦)
اعداد ، المركز القومي للفنون التشكيلية ، القاهرة ، ١٩٨٩ ٠

ـــ « **التراث المفقود** »
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٠ ٠

ـــ « **العبث والواقع : مسرح محمد سلماوى** »
اعداد وتقديم ، دار الف للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ٠

ـــ « **المقاعد الشاغرة فى الثقافة العربية** »
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ ٠

ـــ « **طه حسين ومعاصروه** »
كتاب الهلال ، مايو ١٩٩٤ ٠

ـــ « **اعادة اكتشاف الناقد احمد راسم** »
الهيئة المصرية العامة للكتاب بالتعاون مع الجمعية المصرية لنقاد الفن التشكيلى ، ١٩٩٥ ٠

ـــ « **الكتابة مهنة مقدسة** »
المكتبة الثقافية (٥١٧) ، ١٩٩٥ ٠

الفهـــرس

الصفحة

مقدمـة ٣

هـوميروس ١١

هســـيود ١٥

اسخيليوس ١٩

ارستوفانيس ٢٣

ســـــقراط ٢٦

فرجيليوس وتيبول ٣١

اوفيـــــد ٣٥

القـديس باسيليوس ٤٢

مـوليير ٤٩

وردزورث ٥٣

الصفحة

كولردج ٥٦

بودلير ٦١

دوستويفسكي ٦٦

رامبو ٧١

سينج ٧٥

محمد اقبال ٧٩

كافكا ٨٣

لويس ماسينون ٨٧

فرانسوا بورياك ٩١

ايفو اندريتش ٩٥

مایاکوفسکی ١٠٠

يسينين ١٠٥

محمد عاكف ١٠٩

اندربه مالرو ١١٤

ناظم حكمت ١٢١

نيكولاى استروفسكى ١٢٦

General Organization of the Alexandria Library (GO...

مكتبة الأسرة

بسعر رمزى خمسون قرشاً

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

مطابع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

• إن الشباب هم حملة لواء الغد، وهم الذين سيجابهون تحديات المستقبل ولا سبيل لهم إلا بالتسلح بالثقافة والمعرفة، وهذه السلسلة من «مكتبة الأسرة» موجهة للشباب.. وقد حرصنا فى الاختيار على تنوع العناوين لتقديم مكتبة للشباب فى السياسة والاقتصاد والعلوم والفكر والفنون .. هذه سلسلة تعنى بتثقيف الشباب فى كل المجالات.

«اللجنة العليا لمهرجان القراءة للجميع»

To: www.al-mostafa.com